العقائد

أديان الشرق الأقصى ـ الأديان الكتابية ـ أشهر الفرق الإسلامية الحالية

تأليف

عمر عنايت

الكتاب: العقائد.. أديان الشرق الأقصى – الأديان الكتابية – أشهر الفرق الإسلامية الحالية

الكاتب: عمر عنايت

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميـع الحقـوق محفوظـة: لا يسـمح بإعـادة إصـدارهـذا الكتـاب أو أي جـزء منـه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

عنايت ، عمر

العقائد .. أديان الشرق الأقصى – الأديان الكتابية – أشهر الفرق الإسلامية الحالية / عمر عنايت – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٣٩ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٨ – ٠٨ – ٦٨١٨ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٧١١٧ / ٢٠٢٠

العقائد

أديان الشرق الأقصى - الأديان الكتابية - أشهر الفرق الإسلامية الحالية



الإهداء

إلى شريكة حياتي

تمهيد

الحياة بعد الموت

لقد نظر الأوروبيين بين المنتشرين في أرجاء العالم، عادات الأمم التي يعيشون بينها. فحاولوا درسها. وإذا بهم يتوصلون إلى الحكم بوجود صلة مسلسلة، تبدأ بأحطها وتنتهي بأرقاها. وبما أن جهودهم نشأت في أوساط مختلفة وفي أوقات متغايرة وتنوعت ما تصفحته أيديهم من المستندات، فقد اختلفوا في بعض حواشي الموضوع، رغماً عن أنهم اتفقوا على النتيجة بوجه عام.

تعذر على الإنسان في البدء بين الموت والحياة لعدم نضوج عقله وقوة ملاحظته أو لانشغاله بما كان له أهم من ذلك، كالقنص والصيد والدفاع عن النفس، ويجب أن يضاف أيضاً إلى ذلك أنه لم يكن اجتماعياً، أو لأن أغلب حوادث الموت كانت غير طبيعية؛ إذ كانت نهاية الإنسان القتل أو الافتراس أو الموت في مجاهل الغابات.

فلما قل تعرض الإنسان للخطر أصبح اجتماعياً انتبه إلى النوم الطويل. فإذا ما فسدت الجثة كان أول ما يبحث عنه السبب في ذلك وكثيراً ما كان يصل به عقله إلى أن ما يراه نتج عن فعل فاعل أو من سحر.

وكان الإنسان الأول، يلتجئ مع غياب الشمس إلى كهفه أو كوخه

لينام، فيحلم أنه يسافر أو يتعارك أو يصارع بعض الوحوش فيستيقظ خائفاً وجلاً وإذا به في المكان الذي رقد فيه بالأمس وليس في جسده خدش ولم تمس رمحه نقطة دم واحدة. إذن فهو لم يصارع بل كان نائماً. ولا شك في أنه كان يصارع لأنه شعر بذلك فإذن هو شخصان أحدهما يرى والثاني لا يرى، ويسكن في جوف الأول ويذهب بعيداً كلما أراد، ثم يرجع في أي وقت شاء. وإلى أين يذهب؟ إلى حيث يجتمع بأمثاله، ذلك لأن الإنسان الأول كان يحلم بأشخاص قتلوا أو بادوا.

هكذا توصل الإنسان إلى التفريق بين الروح والجسد. ولكن لم تزل أمامه معضلة لم يمكنه تخطيها، وهي همود الجسد. لذلك كان يوصد باب الدار على من ينام كثيراً حتى لا تعبث به الأيدي الشريرة أو أنياب الوحوش وإذا ما نام أحد الرفقاء وهو في الطريق غطوه بالأغصان خوفاً من أن يراه من يؤذيه. وهذا هو مبدأ فكرة الدفن.

هذا هو رأي بعض العلماء، ولكن البعض الآخر يقولون إن الخوف من العدو أو ممن كانوا يخافون سطوته هو السبب في اهتمامهم بدحرجة صخرة كبيرة على باب الغار الذي ينام فيه كي لا يمكنونه من الخروج عند رجوع الروح إلى مستقرها، وكذلك وضعوا الجثة في التراب وأهالوه عليها حتى لا تجد الروح مكاناً تقرب منه إلى الخارج. ومن القبائل المتأخرة من يضيفون حجراً على الأحجار الموضوعة على القبر كلما مروا به لأسباب شتى، ولكنها ترجع إلى الفكرة البدائية؛ وهي منع الروح من ولوج الجسد.

وكان البعض لأجل التثبت من عدم قيام الميت يحولون مجرى إحدى

النهيرات؛ وبعد دفنه في قاعه يرجعون الماء إلى مجراه الأصلي. وكان البعض يشد وثاق الميت أو يقطع إبهام يده حتى يعجز عن استعمال القوس إذا رجع إلى الحياة، والبعض يقطع رأسه والبعض يكسر فقارات ظهره، ولا تزال طائفة من الإسرائيليين حتى يومنا هذه يضربون على مفاصل الميت بآلة صلبة قبل دفنه؛ وكان البعض يتزين بجمجمة الميت ليفتخر بفوزه على عدوه، وكان بعضهم يأكل قلبه أملاً في أن ينال شيئاً من قوته وشجاعته، وهذا من تطورات فكر نهش لحم الميت تشفياً وانتقاماً.

ومن الطرق التي اتبعها الأقدمون للتخلص من أعدائهم حرق الجثث؛ وهذه تبعت الدفن. لأنه ذكر في كتب الفيدا صراحة؛ مع أن أتباعها يزاولون حرق الجثث في الوقت الحاضر. ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد حتى القرنين الأولين السابق واللاحق لميلاد المسيح؛ كان الهنود يدفنون رماد الجثث من باب العادة، ولكنهم أخذوا بعد ذلك يسفونه في الهواء أو يلقونه في الأنهار المقدسة. هذا رأي فريق من العلماء.

أما الفريق الآخر فيقول إن أصل عادة حرق الجثث هو إيقاد النيران حولها لطرد الروح عنها. ومنهم من يقول أن فكرة الحرق نشأت كنتيجة لانتشار الطاعون فاتبعوها للتخلص من بطشه، وقد توصلوا بالاختبار إلى ذلك.

أما الاعتقاد بالقيامة فقد نتج عنها التحنيط وبناء القصور الشاهقة الفخمة مع دفن الطعام والسلاح والزوجات والعبيد والأفراس الخ؛ مع الميت. وأحسن مثل يضرب لهذا الاعتقاد تاريخ قدماء المصريين. وكان

القصد من تزويد الميت بكل ما ذكر، هو تيسير وجود ما تصبو إليه نفسه عندما يقوم من نومه الطويل أو في حياته في العالم الأسفل.

أما خلود الروح فقد نتج عنها الفلسفة الهندية التي تطورت إلى حد الاعتقاد بأن الجسد شيء محتقر ليس بعد الموت فقط بل وفي الحياة أيضاً، فأصبح الجهد متجهاً إلى تحرير النفس من الجسد المودعة فيه.

هنا بدأ المجال يتسع أمام التفكير في ماهية الروح. فمن قائل أنها طير ومن قائل أنها طيف أو ضوء إلى غير ذلك من الأوصاف المشابهة لهذه.

علم الأساطير

يبحث علم الأساطير (الميثولوجي) في السبب أو الأسباب التي دعت أسلافنا الأولين إلى تأليه "أبولو وعشترت وأبيس وأطلس" وعما إذا كانوا يعتقدون الإلوهية في الكواكب وفي الجماد وفي الحيوان، أو كانوا يعتقدون فقط بحلول الآلهة فيها.

وقد انقسم العلماء الباحثون في العلم إلى قسمين، أحدهما يقول ليست الأساطير إلا بواقي أديان دخلتها الخرافات فأساء الناس استعمال الألفاظ وفهم مدلولها بمرور الزمن والقسم الثاني يقول بوجوب بحث تطور الفكرة في الروح والموت والرجعة، لأجل تفهم الأساطير، وأن الأديان والأساطير لم يشتق أحدهما من الآخر بل تمشياً مع بعضها جنباً إلى جنب. فللأديان أساطير وللأساطير أديان. والدين حسب تعريفهم هو عبارة عن مراسيم يقوم الناس بها لا أكثر.

وأنك إن سألت أحد العوام عما يعرفه عن الدين لأجاب "إقامة الصلاة وقراءة الكتب المقدسة وعمل بعض الفروض" التي تختلف باختلاف الأوساط والمعتقدات. وهو نفس التعريف الذي يقول به سكان أفريقية المتأخرون في سلم المدنية "تقديم طعام للإله وإدخال السرور إلى قلبه" مع وجوب ملاحظة التطور وعقلية الوسط. فالدين هو العبادة وأما الآراء الفلسفية على اختلاف درجاتها في الأهمية فهي شيء آخر بالمرة يختلف عن العبادة تماماً. واسم هذه الآراء في الوقت الحاضر "اللاهوت" الذي

ازداد اتساعاً وفخامة بتطور العقلية الإنسانية وانقسم إلى عدة فروع اختص بعضها بالإلهيات وبعضها بالفلسفة. وقد انصرف الاتجاه في الوقت الحاضر صوب الأخلاق. وهذه كلها نشأت حول شخص كان موجوداً فأصبح لكثرة ما علق بقصته إحدى الخرافات.

ويقول أتباع الرأي الثاني أيضاً أن خصومهم مخطئون في قولهم إن الدين نتيجة لخوف الإنسان مما أحاط به من الألغاز. لأنه إذا صح هذا لعبد الناس إبليساً وزبانية جهنم والمردة التي تمتلئ بهم القصص والكتب المقدسة المختلفة. ويضيفون إلى ما سبق قائلين أنهم لا ينكرون أن الأسبقين زعموا أن الآلهة تغضب ولكن غضب آلهتهم كان دائماً وقتياً تمكن إزالته بتقديم القرابين وبإظهار الندم وبالعبادة. لأن آلهتهم "أباء رحيمة شفيقة".

ويقول الذين عاشوا ويعيشون بين سكان مجاهل الأرض أن أهل الفطرة مجمعون على وجود الروح وعلى أنها شيء آخر غير الجسد وعلى أنها نتركه بعد الموت في حين أن آراءهم في خلود الروح لا تتفق مع بعضها تماماً. فالبعض يسلم بالخلود لجميع الأرواح في حين يقصر البعض الآخر نعمة الخلود على الأرواح الطيبة فقط وذلك بعد أن تقضي على الأرواح الشريرة. ومنهم بعض حكماء لا يحبون إلقاء الكلام جزافاً فلا يجزمون بالخلود للروح "لأنهم لم يعيشوا في عالم الأرواح" ولكنهم يسلمون بأن الروح تبقى بعد الموت مدة طويلة من غير شك.

ويستعمل أهالي أفريقيا الوسطى لفظة "مولنجو" بمعنى الروح وبمعنى

الله أيضاً. ولوحظ أنهم لا يعتقدون ببقاء الروح مع الجسد في القبر. ولهذا يعتقد علماء الأساطير أنهم أمسكوا بطرف الحبل خصوصاً عندما وجدوا عتبة بيت المتوفى تتخذ كمذبح للتضحية على روحه ولذلك يتساءلون "لم لا يعتقد الناس بحلول الأرواح في الأشجار وفي الجبال ما داموا يقدمون القرابين لهم مفضلين الأشجار الضخمة والجبال الشاهقة دون غيرها".

كان الإنسان يعبد أسلافه في المبدأ، وكانت عائلته تتبعه في عبادته. فكلما كبرت العائلة وصار ربها زعيماً للقبيلة احتكر لنفسه وظيفة الكهانة بأن يبدأ بتحريم تقديم القرابين على الأطفال وعلى العبيد بحجة عدم مقدرتهم على الامتلاك. ثم منعوا النساء بحجة أنهن نجسات ليس لهن نقوس. وبما أن المتوفى المعبود كان رئيس القبيلة الأسبق، أمكن لخليفته التغلب على الرجال لأنه أقربهم إلى الآلهة وأجدرها بملازمتها وأقدرهم على تفهم رغباتها وبمرور الزمن زاد عدد الآلهة بزيادة وفيات الرؤساء فأخذت الأسماء القديمة تختفي لتحل محلها أسماء جديدة، وأخيراً اقتصر الناس على عبادة الميت الأخير. ولذا تجد بعض القبائل الهمجية يصلون قائلين "أيها الأب لكوني أجهل جميع آبائي وأجدادي وأنت تعرفهم؛ شاركهم فيما أقدمه لك من القرابين" ولكن ليس من السهل حتى على أهل الفطرة نسيان بعض الخالدين الذين توارث الأعقاب ذكرهم وتناقلوا قصصهم التي أخذت تزداد غلواً وغرابة بمرور الوقت، فهؤلاء أحلهم الناس بعد مماتهم في أفخم وأعظم ما وقعت عليه أعينهم. فإذا تأخر نزول الأمطار، هرعوا إلى الجبل العالي طالبين من الروح الثاوية فيه إسقاط المطر من الضباب المحمول على كتفيها.

وكان الإنسان الفطري إذا أراد إرسال رسالة إلى روح سلفه يأتي بأحد

العبيد وبعد ما يلقنه الرسالة يذبحه لتحملها روحه إلى روح ذلك السلف وهكذا يكون تقديم الذبيحة مقصوداً به حمل روحها لتمنيات وشكر صاحبها إلى الآلهة. ولم تكن الذبيحة في المبدأ إلا من بني الإنسان حتى أنهم كانوا يقدمون أولادهم البكر قرابين كي تحمل أرواحهم الرسالة، مبالغة في التقرب من الروح المعبودة بإظهار الاحترام العظيم. وكانوا يذبحون العبيد في زوايا حدود الأرض. ويضعون حجراً فوق المكان المدفون فيه الواحد منهم، كي تقف عليه روحه وتدافع عن المحصول ضد غارات الأرواح التي كانت تهاجم الحقل خفية، الأمر الذي يتسبب عنه قلة المحصول. وكان يدفن على باب الحصن بطل بعد قتله لتدفع روحه غارة الأرواح المعادية. وما عليك إلا زيارة أبواب المدن الأثرية لترى قبب مدافن المشايخ بالقرب من كل منها وقد دفنوا هناك تيمناً أو لحماية الباب. وهذا أثر من الفكرة الأولى. وكذلك السيد البدوي هو حامي طنطا والشيخ إبراهيم حامي دسوق. فهذه كلها آثار ورثناها بعدما تطورت عن السلف.

وبلغ التطور بنا إلى تضحية الحيوان بدلاً من الإنسان وكان المقصود منه في البدء إطعام الروح ولكن بما أن التطور أوصلنا إلى فهم أن التضحية، وسيلة للإطعام، وليست لحمل الرسائل، أخذت الفاكهة وغيرها تحتل رويداً رويداً مكان الذبائح. ولا تزال متبعة إلى اليوم يراها من يزور القبور أيام المواسم.

وثنية اليونان والرومان

كثيرون هم الذين يعتقدون خطأ بتجرد الوثنية من الإيمان بالله ومن الأخلاق الفاضلة والسبب في شيوع هذا الاعتقاد هو الدعوى التي نشط إلى نشرها رجال الدين وخاصة آباء الكنيسة الرومانية وذلك للإقلال من شأن الوثنية وللحط من قيمة تعاليمها، فوضعوا أسخف ما كان يتمسك به عامة الوثنيين جنباً إلى جنب مع أحسن ما كانوا يبشرون لهم به من التعاليم، وذلك لأجل ترويج دعوتهم الدينية.

ويعلم المطلعون على تاريخ الكنيسة الغربية أن أهم أساطينها كان منحصراً أول الأمر في تنظيم "الطقوس" والسعي لإدخال الناس في حظيرة الإيمان أفواجاً دون أن يفكروا أبداً في المواضيع العليا المؤثرة على رفع المستوى الإنساني. ذلك في الوقت الذي أينعت فيه مدارس الفلسفة الوثنية وبلغت ذروتها. والتفتت الكنيسة عندما تمكنت من الدولة الرومانية لاستئصال شأفة مخالفيها؛ فأعملت فيهم النار والحديد وأرتهم العذاب ألواناً. ولما تم لها الانتصار شوهت ما شاءت في تعاليم سينيكا وشيشيرون وأفلاطون وغيرهم. ثم اختصت نفسها بخير ما جادت به قرائح الوثنية ورمتهم بجهل ما تسببوا في وجوده.

وأن من أغرب ما يلفت النظر هو أن دعاة التثليث يرمون الوثنية بجهل "التوحيد" في حين أن الحكيم طاليس قال منذ القدم "خلق الله الحياة من الماء".

ورغبة في الهروب من هذه المواجهة يقول الدينيون أن لفظة "الله" لم يكن المقصود منها ما نتصوره. بل كانت تستعمل على غير، معرفة كما تستعمل لفظة "رجل" فيرد عليهم معارضوهم قائلين هذا صحيح ولكن مادمنا محققين إلى هذه الدرجة يجب أن لا نخلع منظارنا هذا عندما نبحث الأمور الأخرى. فمثلاً لا يجب أن نقول أن اليهودية "دين توحيد" فهي لم تكن إلا "دين قصر" فدين التوحيد بالمعنى الصحيح هو الإسلام. ففي التوراة إشارة صريحة إلى وجود "أرباب" للأمم الأخرى؛ غير مصرح لبني إسرائيل بتقديم القرابين لها. لأن رب إسرائيل "رب غيور" فهلا يدل ذلك على الاعتراف بوجود أكثر من إله؟ كذلك ترينا التوراة أن هذا الرب لم يكن شيئاً واحداً طول الوقت بل كان رب "إبراهيم" "فرب إبراهيم وإسحاق ويعقوب" "فرب إسرائيل" وهذا يدل ذلك على صحة قول أصحاب نظرية تطور فكرة الله من أنه كان لكل إنسان رب فلما تحضر الناس صار لكل عائلة رباً فلما تشادت العائلات وصار لإحداها الحول والقوة صار ربها رب القبيلة؟ ثم من هو "ياهوا" ومن هو "أيلوه"؟ أليس معنى "الرب" السيد وهي نفس معنى كلمة "البعل" – معنى البعل الملك – فبعد ما كان رب اليهود رب شخص اسمه إبراهيم صار رباً لعائلة قوامها إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولما كثر تناسل هذه العائلة واختلاطها صار الرب "رب إسرائيل" وأخيراً اقتصروا على لفظة الرب وجعلوه يسير على الأرض ويخاطب الناس ويغضب ويحزن ويندم؛ ثم أختص البعض فقط بظهوره ثم أبى إلا التجلي في الأحلام وانتهى به الأمر إلى أن صار يلهم فقط وذلك بعد رجوع

الإسرائيليين من أسر بابل حيث قضوا سنين عديدة في مهد مدنية ذلك العصر. فلم تنتظر فقط من العقلية الوثنية القفز دفعة واحدة للوصول إلى الكمال؟

ألم تقل المدرسة الفيثاغورية إن "الله واحد معطي نور السماء، هو أب الجميع، هو الفكر والقوة الحيوية للعالم، هو محرك كل شيء!" ألم تقل مدرسة أخرى "الله واحد، هو الأحد، صنع السموات وبسط الأرض المتسعة مع المحيط الأزرق العظيم الأمواج، هو خالق الرياح القوية" وأخرى "هو أب الجميع إليه فقط يجب أن نقدم احترامنا" فلم ننسى هذا ولا نذكر للوثنية إلا أسطورة "الإله المشترى" جوبيتر ثم نضحك بملء فكينا ولا نحاول أن نقارن سلسلة التطور التي نشأت من هذه الأسطورة بسلسلة تطور فكرة الله في الشرق؟ فقد تغلب جوبيتر على غيره من الأرباب وكثر أتباعه، فبعد ما كان إلهاً مادياً أصبح فكرة راقية فلم يعد جوبيتر الأساطير نفس جوبيتر مرادف لفظة الله. قال تارتوليان "أن أغلب الناس الذين لم يسمعوا بموسى عرفوا ربه قبل أن خلق بكثير من السنين ففكرة وجود الله توصل إليها كل الناس لا شخص واحد" وكتب مكسيموس النحوي ألى القديس أوغسطين يقول "أن وجود إله فخم وعظيم بلا بداية ولا نهاية أمر لا ينكره إلا من به جنة. كيف لا وآثاره ظاهرة في الكائنات. وإننا إذا لقبناه بألقاب عديدة فذلك ناتج عن جهلنا بحقيقة اسمه. فالآن تقدم وقل لي ما عندك عن ذلك الإله الذي تدعي المسيحية أنها قد اكتشفته".

وكتب الأب كليمان إلى القديس بطرس يقول "يعبد الإغريق نفس الإله الذي نعبده ولا خلاف بيننا وبينهم في الغاية، بل في الوسائط فقط".

وهنالك اعتراض آخر للدينيين هو أن التوحيد تطرق إلى الوثنية من اختلاط أهلها باليهود ولا ينفي معارضوهم ذلك بل يقولون أن ليس على صحة ذلك دليل وكما أنه يجوز أن هؤلاء أخذوا عن أولئك يصح عكس ذلك تماماً، كما وأن من المعقول أن سار الاثنان إلى هذه الغاية متكاتفين. وعلى فرض أن التوحيد استعير من الإسرائيليين فلا شك أنه وجد تربة صالحة لتقبله. وما علينا إلا أن نطالع بلوطرخوس، وسينيكا، أفلاطون وغيرهم فنجدهم يتكلمون عن "الإله العظيم" و"الرحمن" والإله الحق والمخلص ومنبع الحياة وباب العدل والرحيم. وإليك شيء مما قاله "سينيكا "باخوس (إله الخمر) وهرقل (إله القوة) ومركري (الإله عطارد) ليست إلا مترادفات للفظة الله. فالأول مظهر الرب آب الجميع، والثاني مظهره كصاحب قوة غير محدودة، والثالث مظهره كحليم ومنظم وعالم.

أما الأخلاق الفاضلة فلم تكن مجهولة من الوثنيين فقد قال سيميكا: "ليس الإنسان هو الذي أوجد الخالق لأجله فصول السنة المتتابعة. فإن هذا النظام وغيره تتبع قوانين مخصوصة ونحن نغالي في تقدير أنفسنا إذا أدعينا أمثال هذه الدعوات الضخمة" وقال آخر "لا تزلزل الأرض إذا غضبت الآلهة بل يحدث ذلك كنتيجة لوقوع مسببات تدعو إلى هذه الظواهر" و"كل ما يحدث ليس بمجهول من الآلهة قبل حدوثه" وجواباً على استفهام عن السبب الذي يدعو إلى مجازاة الإنسان عن أفعاله قيل "أن للإنسان حق اختيار الأصلح لنفسه" وأن "المهم ليس

التساؤل عن السبب في وقوع ما يقع علينا، بل السؤال يجب أن يكون كيف يجب أن يتحمل ما يقع لنا، لأن المصائب فيها فوائد أولاً للذين تحل بهم ثم للمجموع وقد تكون وفاة أحد الناس شبيهة بإجراء عملية بتر جراحية. وليس هناك أضر من الرجل الذي لا يحتمل الصعوبات. فالمصائب محك يبرز الرجال لأن الألم محك الفضيلة. والآلهة مثل الآباء والمعلمين تخاف على الناس؛ ولكنها دائماً تطلب من الأحسن عملاً أكثر، لأنه من صالح الوجود أن يتحمل أشد رجاله أعماله المتعبة" وأن "الطيب والرديء يتقاسمان خيرات الأرض ليس لصفاتها بل لأنه حتى لكل، منهما وقد وهب الله العالم بعض الحقوق بلا تمييز".

"لو فعلت الخير لكي تجازى عليه تكون أحمقاً لأنك حينئذ تجهل أن الله واقف على ما إذا كنت تستحق أولاً تستحق ما تلتمسه وعملك لن يغير من فكره" وأن "إذا آمنت بعدل الله يجب التسليم بعدم فائدة انتظار معاملته ذلك معاملة شاذة أو مناقضة للقوانين فإذن يجب أن تصلي فقط وتطلب كل ما فيه الخير لك".

"عامل الناس كما لو كنت تعامل الله وأطلب من الله كما لو كنت تطلب من إنسان".

"محبة الله لا تتأتى عن الخوف منه فالذي يعرف الله لا شك يعبده" و"لو كنا من الطيور لشدونا مثلها أو من الأسماك لسبحنا مثلها ولكنا آدميين، فليس لنا إلا أن نفكر كما هو الواجب علينا" وهاك ترجمة الصلاة "أيها الآلهة هل خالفت وصاياك؟ هل أسأت استعمال القوة التي

أعطيتها؟ هل ثرت على حكمك؟ حقيقة أنا مريض. ولكن هكذا أنت أردت وكذلك مرض غيري كثيرون فأنا متقبل ذلك بكل سرور".

"إن كنت تحب الآلهة فاقتد بهم. هذه هي العبادة". ونحن لم نتقدم حتى العصر الحاضر خطوة واحدة في تعريف النفس، فلازلنا كالوثنيين نقول بوجودها دون أن نعرف ماهيتها. وكان الوثنيون يعتقدون أن جوبيتر هو واهب النفس وإليه مصيرها. فإذا لم تكن النفس مقدسة ونقية لا يمكنها الرجوع إليه.

النفس الطيبة لا تخاف الموت بل بالعكس تتطلع إلى الوقت الذي تتحرر فيه من سجنها. فالموت هو بدء الخلود في حياة جديدة. فلما تترك الروح الأرض صاعدة للسماء تصبح ملاكاً تنظر بعيون نقية إلى حياتها الأرضية وتسر لما وصلت إليه وترجو أن تلحق بها الأرواح التي خلفتها بعدها على ظهر البسيطة. ولحبها لهم ترفرف عليهم وترعاهم من السماء وهو مكان يؤمه كل الذين خدموا وطنهم بالفن والعلم وهناك يعيشون عيشة رفاهية.

للعدالة عين ترى كل شيء. وهناك مستقيم وهناك معوج. فإذا كانت النهاية واحدة اسرق واخطف وثر لا، لا. فإن في الآخرة حساباً يقضي به الله رب الجميع فيذهب الأشرار إلى جهنم التي تفتح أبوابها فتنساب أنهر من النار وينتشر الظلام الحالك حيث تغدو الأشباح وتعود. وهناك تجد العذاب حيث لا يوجد من يرحم فتحرق النار الأطراف ثم تردهم تحرقهم وهكذا إلى الأبد وهي دائمة الاشتعال.

ولا يجد المطلع على الفلسفة الوثنية بداً من الاعتراف بأن مدارسها لم تكن إلا نوعاً آخر من مدارس الأفكار الدينية التي نشأت في الشرق وكانت تدور معظم أبحاثها على الأخلاق، وكان أساسها إنكار الذات. وكانوا يلقنون هذه التعاليم لأولاد المدارس في كل فرصة ومناسبة كما نلقنها نحن لهم الآن.

علم مقارنة الأديان

يقول مروجو هذا العالم أن مجموعة الأديان هي كمجموعة الأجناس البشرية. وكمجموعة اللغات وكمجموعة الأساطير يرتبط بعضها ببعض الأمر الذي يدل على أن لها أصلاً واحداً لم تقف عليه حتى الآن.

ومما يلفت النظر أن أغلب أديان أوربا لها صلة بأديان الهند والفرس القديمة. ولذلك أسموها الأديان الآرية.

وتعاليم المسيحية موجودة كلها في الأديان المجوسية والزرادشية والبراهمية والهندستانية والبوذية وكذلك قل في التعاليم اليهودية. وإليك مثلاً قصة ولادة المسيح. فنجدها في الأديان الأخرى السالفة لها التي تحوي قصة المخلص المولود من عذراء.

كانوا يقيمون في روما من ١٧ إلى ٢٤ ديسمبر من كل سنه عيد الإله زحل Saturn وكانوا ينتظرون رجعته إلى الأرض. إذ تلده عذراء. وكانوا يقولون أنه سيأتي لمنع البؤس عن الناس وليترك العبيد أحراراً فكانت الهدايا تعلق للأولاد على أفرع شجرة تنصب خصيصاً لذلك مرة كل سنة في ذلك العيد.

أما اليونان؛ فكانوا يقيمون يوم ٢٥ ديسمبر عيد باخوس ويعرضون الإله الطفل نائماً في سلة أو مزود كي يشاهده المؤمنون.

أما المصريون فكانوا يحتفلون في يوم ٢٥ ديسمبر بميلاد مخلصهم هوروس ويعرضون في معابدهم داخل مزود طفلاً صغيراً ويوقفون قربه من تمثل

الآلهة إيزيس البتول وحولها مجموعة من الحيوانات المقدسة؛ وكانوا يدعون أن هوروس ولد من الإله العظيم أو زيريس والعذراء إيزيس التي وضعته وهي على سفر فأخفته خشية عليه من بطش ملك قوي.

وكانوا يمثلون الإله أوزيريس بصورة خشبية تدفن ثم تخرج باحتفال لا مثيل له. وكانوا يعتقدون أنه يهبط بعد دفنه إلى جهنم حيث يبقى يومين؛ ولم يكن لديهم لهذا الاحتفال تاريخ معين بل يختلف يوم قيامته لديهم لاختلاف حسابهم التاريخي.

وأما الفرس، فكانوا أيضاً يحتفلون بميلاد مترا في نفس ذلك اليوم. وذلك داخل كهف ينيرونه بالشموع ويحرقون فيه البخور، ويوزعون الخبز والنبيذ على الحاضرين بعد أن يباركهم الكهنة. وكانت قيامته في أواخر مارس فيشيدون يومها تمثالاً حجرياً له.

وكان التيوتون يحتفلون بميلاد الإله "الشمس" فيزينون مجالسهم بالخضرة.

أما المخلص المكسيكي "كوتيزلكوتل" فقد ولده الإله الأعظم "تتزكاتليبوكا" من "العذراء سوشيكوتزال" وكانوا يحتفلون بموت إله شمس الشتاء وولادة إله شمس الصيف وبالعكس.

وقد ذكر في سفر أرميا أن النسوة أحرقن البخور لملكة السماء عشتروت.

وكان البابليون يحتفلون بميلاد الإله تموز في الخامس والعشرين من ديسمبر أيضاً.

كذلك ذكر في العهد القديم أن النساء كن ينحن على تموز. وكان

البابليون يمثلون موته في كل سنة وبعد يومين كانوا يحتفلون بقيامته من بين الأموات. وكان ذلك يحدث في منتصف الصيف.

أما الرومان فكانوا يحتفلون بموت الإله آتيس بن العذراء أشهر آلهتهم في يوم ١٥ مارس فيحملون الطاقات الخضراء ويسيرون جماعات في الطريق. وبعد مرور خمسة أيام كانوا يربطون شاباً إلى شجرة يحملونها باحترام إلى الهيكل. وهم يندبون حولها وكان اسم هذا اليوم عندهم "يوم الدماء" وفيه كان الكهنة يضربون أنفسهم بالمدى ويتضرعون طالبين رجوع الإله. فإذا انتصف الليل يعلنون قيامة آتيس المذكور ويبتدئون أفراحهم.

فالديانات الهندية والمصرية والبابلية وغيرها من اللواتي تكلمن عن شخصيات مثل المسيح هن أقدم من المسيحية بلا شك اللهم إلا بعض القصص الهندية التي كانت متداولة وكتبت بعد عهد المسيح. ولكن تأخير تدوينها لا يختلف عن تأخير تدوين قصة المسيح. وهي في الغالب قد رصدت في الكتب قبل أن تحرر الإنجيل في القرن الثاني للميلاد وليس علينا الآن إلا تقدير الثقة للممكن وضعها في ترجمة حياة شخص، إذا كتبت بعد وفاته بمائة سنة على الأقل. فلا شك أن الثقة التاريخية في الحوادث التي تهمل بهذه الكيفية تكون معدومة تماماً. وما عليك إلا ملاحظة أن تاريخ ولادة المسيح قد غير مراراً إلى أن استقر الأمر أخيراً على أنه حدث يوم ٢٥ ديسمبر وهو أحد الأعياد الدينية المماثلة في الدولة الرومانية التي ترعرعت المسيحية في أحضانها.

وفكرة الولادة من عذراء ترجع إلى جهل الإنسان الأول بنظرية التلقيح، أكثر من ميله إلى الإكبار من شأن الآلهة. ولا يزال أثر ذلك موجود لدى بعض

قبائل استراليا الحالية.

وإليك بعض ألقاب آلهة الأقدمين.

ميثرا: الكلمة، حمل الله الذي يأخذ خطايا العالم.

أوزيريس: قاضي الأموات، إله الحياة، الحاكم الأبدي، أب الطيبة والصدق.

هوروس: الراعي الصالح، المولود الوحيد، المخلص.

إيزيس: ملكة السماء، نجمة البحر؛ السيدة.

أما الآلهة المخلصون عند الرومان فكثيرون وإليك بعضهم: برسيوس ولد من جوبيتر Jupiter والعذراء ودناي Danae.

وكذلك ولد الإله يونيس من جوبيتر والعذراء سيميل Semee.

وولد الإله هرقل من جوبيتر ومن العذراء الكمين akmene.

أما في الهند:

فقد ولد كرشنا في كهف بينما كانت أمه العذراء وخطيبها هاربان من غضب الملك الذي أمر بذبح الأطفال كافة. وإنك تجد هذه القصة مرسومة على سقف معبد "اليفانتا".

ويقول الهندوس أن السبب في خروج الإنسان من الجبل الذهبي هو أكله للثمرة الحلوة التي نهاه الإله عن أكلها.

ويقول الفرس في "الافستا" المقدسة أن الزوجين الأولين السعيدين جلبا الشقاء على العالم عندما اتبعا الشرير، فأكلا الفاكهة المحرمة.

وأما قصة الجنة وهبوط آدم والطوفان كما نفهمها فقد وجدت كما هي على آثار بابل المكتشفة حديثاً.

أما سر الاعتراف فمعروف لقبائل المكسيك وبيرو حيث كان ولا يزال الكهنة يغفرون الخطايا. ونجد أثراً لذلك بين قبائل أفريقيا وبولونيزيا.

أما العماد بالماء المقدس فمعروف في أديان الهند والفرس ومصر والسويد والنرويج والمكسيك.

وقدماء المكسيكيين كانوا يعرفون التناول؛ وكذلك اليونانيون والأشوريون والبابليون. وكان أتباع "مثرا". يستعملون الخبز والنبيذ في التناول.

والترهب معروف في أغلب الأديان. فكان للمصريين.رهبان يضيئون الشموع وينضحون المياه المقدسة ويعرفون الصليب.

وطرق التبشير كانت متبعة، وأشهر حوادث التاريخ هو إرسال الملك البوذي آسوكا مبشرين إلى سوريا لهداية أهلها وكان ذلك عام **٢٥٠** ق.م.

هذا بعض من كل، أثبته للقارئ ليعرف شيئاً عما يسمونه علم الأديان المقارن.

أديان الشرق الأقصى

البراهمية

حدث قبل ميلاد عيسى بمئات من السنين أن اجتاحت قبيلة آرية حدود الهند تتأبط فيداها المقدسة بيسارها وممتشقة الحسام بيمينها. وقد خضع الأهاون لأولئك الفاتحين الذين استنكفوا من الامتزاج بالسكان فأسموهم طبقة العبيد إتباعاً لعادتهم في القول بنظام الطبقات إذ كانت فيهم طبقة الكهنة والمحاربين ثم طبقة الصناع. وكانت قوانينهم تحظر اختلاط هذه الطبقات ببعضها إلا أنهم كانوا يسمحون للذي تزوج من طبقته أن يتخذ الحظايا من الطبقات الدنيا.

وكانت أرقى الطبقات (الكهنة) مقسمة إلى أربع درجات أقلها التلمذة ثم الدرجة التي يصير فيها أحدهم رب عائلة وبعد هذه تأتي درجة النسك التي يشترط على المرشح لها أن يبلغ سناً معيناً ليسمح له أن يهيم على وجهه في الغابات طريداً يقتات من العشب ومما يتفضل به عليه المحسنون. فإذا ما جاز الشخص هذه الدرجة بنجاح لقب "فقيراً" فيخرج من الإنسانية وبذلك يقرب من الآلهة.

وكما تتطور كل الأنظمة الاجتماعية هكذا تتطور الأديان فقد كان دين أولئك الفاتحين وقت الفتح يدعو لعبادة قوى الطبيعة على حالتها فلم يلبث حتى جسدها فنشأت آلهة متعددة طمس مرور الزمن أخبار

بعضها فلم نظفر إلا بثلاثة وثلاثين اسماً لها في الكتب المقدسة وحتى هؤلاء قد جار الزمن عليهم فلا نعرف عنهم ما يستحق الذكر اللهم إلا ثلاثة هم أجنى وفايو وسوريا نالت منهم سنة التطور الغشوم. فغيرت وبدلت منهم إلى أن أصبحنا أمام ثالوث آخر متسلط في مملكة السماء مكون من براهما وفشنو وسيفا؛ فكأنهم قناصل روما وقد أخذوا يتنازعون السلطة فتارة كان براهما رئيس الثالوث والكل في الكل حتى إذا عفت ذكراه؛ ناصر الناس فشنو تارة وسيفا أخرى ولذلك كثيراً ما نرى صفات الواحد تزداد كثرة وقلة حسب سعره في السوق الفكري.

وعندئذ ظهر جوتاما (البوذا) فطعن البراهمية طعنة نجلاء وأحل البوذية محلها وذلك قبل ميلاد المخلص بستمائة سنة تقريباً.

فلأ بدأ الآن بإعطاء القارئ فكرة مصغرة عن الثالوث الثاني.

براهما رأس الثالوث وخالق العالم هو المنبع الذي بدأت منه الآلهة منذ نشئوا وإليه يرجعون وليست الروح الإنسانية إلا شعلة من نيرانه المقدسة إليه مصيرها. يقول بعضهم إنه الإله أجني – إله النار – في العهد الأول والبعض يقول بل هو إله الحرب الذي كان ينشده الآريون وهم يغزون الهند "لحماية البيض الغازين من قطعان الكفار الشريرة الكثيرة العدد" أما أسماؤه فمتعددة أهمها "الأب الأكبر" وقد وجد من بيضة ذهبية كانت تطفو على سطح القمر منذ البداءة. وهكذا وجد قبل الخلائق. وأول ما فعل أنه رفع الأرض من الماء، وأما عمره فمائة سنة من سنيه تتكون كل منها من أيام نهار الواحد قدر ٤,٣٢٠,٠٠٠,٠٠٠

عاماً من أعوامنا وهكذا طول الليلة الواحدة. وفي آخر كل نهار ينتهي عالم من عوالمنا فيستريح الرب ليلته ثم ينشئ عالماً آخر وهكذا.

وله عدة أبناء هم أبناؤه بالفكر فقط وهم آلهة أيضاً وبعضهم أنبياء أشهر الأخيرين سبعة يرمز إليهم بنجوم الدب الأكبر.

فشنو الركن الثاني للثالوث هو الحافظ والمبقي للخلائق على الأرض، أعطوه لقب الخالق عندما سقطت هيبة براهما الذي انتهى عمله بالخلق الأول. وأما فشنو فبيده البقاء ولذلك يخلق الخلق الثاني والثالث وهلم جرا وهو إله الشمس القديم قبل حدوث التطور. تشأ في مكان مجهول فحل في السموات وفي الأرض ويقدمه البعض على سيفا.

سيفاً الركن الثالث للثالوث هو المفني المعيد أي مسبب التقمص لم يذكر في الفيدا ولكن أتباعه يقولون أنه ذكر باسم رودرا الذي نشأ من نقطة عرق سقطت من جبهة براهما في النار، ومكانه جبل الهملايا ولذا لقب "رب الجبل" ومن ألقابه الأخرى "الإله العظيم" ومعنى كلمة سيفا الشفيق، الرحيم، المنعم، المخلص.

الفيدا

هي أناجيل البراهمة المقدسة تتكون من أربعة كتب منزلة هي:

١. الرجفيدا (فيدا الأناشيد) تنشد وقت تقديم القرابين.

٢. السامافيدا (فيدا النغمات والتراتيل) تتلى وقت صنع شراب السوما

المقدس وتعاطيه.

٣. الياجورفيدا (فيدا القرابين).

٤. الآثارفافيدا (فيدا السحر والتعزيم)

ويلي هذه الفيدات ذيل مكون من:

١. براهميات عبارة عن كتابات فقهية يختلفون فيما إذا كانت محتوياتها منزلة أم غير منزلة.

٢. مطالعات الأحراش، عبارة عن كتابات في التصوف النساك الهائمين في الغابات.

٣. التوحيد عبارة عن أبحاث حول براهما (روح العالم) وسأذكر من كل فيدا شيئاً فيما يلي:

الرجفيدا أقدم الفيدات تحوي ١٠٤١٧ بيت من الشعر مجموعة في ١٠٢٨ نشيد تكون بدورها عشرة أبواب.

الباب الأول يحوي أناشيد الكهنة عند التضحية وقد سميت الفيدا باسمه.

الباب الثاني إلى السابع تحوي أناشيد العائلات المقدسة.

الباب الثامن يحوي أناشيد متفرقة.

الباب التاسع يحوي أناشيد عن السوما المقدس الذي يقدم للإله سوما (القمر).

الباب العاشر أناشيد تحوي أساطيراً وقصصاً خرافية وينسبون جميع هذه الفيدات إلى كريشنا (المنظم) ويقولون أنه أشرف أيضاً على تلاميذه وهم يجمعون الفيدات الثلاثة الباقية.

السامافيدا. يوجد في الرجفيدا ١٥٣٥ شعراً من محتوياتها والأشعار الباقية موجودة في الفيدتين الأخريين وتبدأ هذه الفيدا بأشعار موجهة إلى الإله أجني (إله النار) الذي يجلس على العشب المقدس وقد تطور أجني هذا إلى أن صار بمرور الزمن براهما وهم يطلبون منه (رسول الآلهة وملك الثروات) اقتياد القرابين إلى حيث يجب أن تذهب وإلى ذلك أناشيد للإله أندرا – إله المطر – وينشد عادة في الصباح في الوقت الذي يقدم له فيه القرابين ويقال أنها كانت تتلى للتبرك قبل وجبة الصباح.

اليوجارفيدا: أناشيد الكهنة يرتلونها وقت إعداد المحارق وتقديم القرابين وفيها صلوات يستقبلون بها الهلال والبدر حال تقديمهم الذبائح لهما ثم تأتي أناشيد لشراب السوما فأناشيد ترتل وقت إشعال النار المقدسة.

الآثارفافيدا: ينسب البعض محتوياتها إلى رؤى رآها (أثارفان) أين براهما بالفكر؛ وهو الذي قدم له أول قربان. وتحوي أناشيد خاصة بأمور

ثانوية كالزواج وإعطاء البركة وواجبات الملوك وتعاويذ ضد الشياطين والأعداء والأمراض وسوء الحظ فصلوات لطلب النجاح وللحفظ من السوء ولطلب الثروة والصحة. وتحوي أيضاً أناشيد لعبادة (المسبب الأول العظيم) وتمنيات لأجل ربح القمار ولعدم الوقوع في المرض وأدعية الاستحمام الأول للطفل، ولطرد الأرواح الشريرة من المنازل وطلب حياة طويلة للصغار، وزواج للمرأة العانس.

ويقول الثقات أن هذه الفيدات لم تكتب في عصر واحد إذ أن بها كثير من التبديل والتغيير الذي تم في أوقات متفرقة.

البراهميات كتابات نثرية حديثة العهد تجد منها واحدة أو أكثر عقب كل فيدا. هي محاولات لتحويل التضحية من كونها عملية يقصد بها إطعام الآلهة لتكف شرورها؛ إلى عملية يقصد بها العبادة وإبداء الشكر وأغلبها يبحث عن كيفية وسبب ومعنى تقديم القرابين.

مطالعات الأحراش: وضعت (للذين يريدون التخلص من المادة والتنعم بالحرية) همها الحث على تضحية العقل. فعلى الناسك أن يحفظها عن ظهر قلب لتعطيه (الشعور والعلم الباطني بالروح الكبيرة) لأن هذه المعرفة (تربط نفس الإنسان بالكائن الأعظم صاحب النفس الخالصة الحقة).

ويختلف الشراح في عدد هذه المطالعات فمن قائل أنها ١٠٨ ومن قائل إنها ٢٣٥ وهناك من يعطي أرقاماً بين هذين الرقمين. ولا يعرفون

الوقت الذي كتبت فيه بالضبط بل يقدرون عمر أقدمها بستمائة سنة قبل ميلاد المسيح.

وقد ذكرت فيها نشأة العالم حين لم يكن هناك شيء غير الماء المحاط بالظلام فقامت (كارما) الإرادة جرثومة العقل وصلة الوجود بالعدم. هكذا نشأ العالم. وبعد ذلك ظهرت الآلهة وأوجدت المخلوقات وكي ينقذوا الأرض من الهيولي ذبحوا المارد (بوروشا) وخلقوا من أضلاعه الإنسان وأوجدوا له الكلام والشم والنظر والعقل والموت وبعدئذ الجوع والعطش ثم أوجدوا المادة التي لا تشعر بها الحواس وعندئذ حلت النفس في الإنسان، فوجد ذاته منتشراً على سطح الأرض.

وليست النفس هي التي ترى وتسمع وتتكلم وتذوق وتشم وليست هي حركات القلب والعقل، بل هي المعرفة التي ينتج عنها ويقوم بها كل شيء (المعرفة ليست الإبراهما).

البوذية

ولد الأمير سيداثنا (أو سيدارثا) في حرش إحدى الإلهات حوالي عام ٥٦٠ ق. م في مملكة بنبيال وهو ابن سادودانا جوتاما زعيم إحدى القبائل الهندية وقد أقيمت مسلة فوق المكان الذي دفن فيه ولا تزال هناك قائمة حتى الآن.

بشرت به أمه في حلم إذ ظهر لها بصورة فيل وقد سبقت ولادته معجزات وأظهر وقت ولادته علامات أثبتت أنه البوذا الخامس والعشرين وكذلك ظهرت معجزات وقت وفاته منها اضطرام المحرقة من نفسها بمجرد وضع جثته عليها.

عاش عيشة ترف وتزوج وهو في التاسعة عشر وعندما وصل إلى التاسعة والعشرين هجر منزله وزوجه والتجأ إلى الغابات ست سنين يناضل التجربة ليكون فقيراً براهمياً. ولكنه لم يجد في (أمانة المادة الضياء الكافي) وفي ذات ليلة وهو سهران تحت شجرة حلت فيه روح البوذا بينما كان مستسلماً للتأملات.

وقبل أن يقوم للتبشير بتعاليمه تريث وقتاً ما قضاه في التفكير أيضاً وكان يغذي في تلك الفترة بمعجزة، وبعد انتهائها رحل إلى بنارس؟ وهناك بدأ يعلم وما زال كذلك حتى مات في سن الثمانين وهو ملقي تحت أغصان شجرة يملي إرشاداته على من حوله. وأما خليفته البوذا السادس

والعشرين فسيأتي بعد مرور خمسة آلاف عام من وفاته كي يصلح العالم مرة أخرى.

أما ملخص تعاليم الجوتاما – وهكذا تغلب لقب عائلته على اسمه – فهو السعي للوصول إلى حالة (النيرفانا) أي الاندماج في النفس الأولى، الأمر الذي لا يتم إلا بعد العودة للحياة مرات متعددة. ولأجل الوصول إلى هذه الاندماج يجب إنكار الذات والتأمل والزهد في الدنيا.

وقد كثرت الأساطير بمرور الزمن حول شخصه فأحاطه البعض بآلهة لها درجات متعددة ولكن المتنورين من أتباعه يحاولون نفي كل ما علق أو يعلق به من الخرافات وهكذا انقسم البوذيون إلى شماليين وجنوبيين، والأولون هم أصحاب الأساطير يتبعون اللاما رئيس بوذيي التبت وأما الآخرون فمنتشرون في أرجاء آسيا الشرقية الجنوبية وعددهم يأتي بعد عدد مسيحي العالم من حيث الكثرة. ويقدر علماء الأديان وجاهة أدبيات البوذية بصفة عامة ويسلمون بعظم تأثيرها في العالم الإنساني.

يدعو جوتاما إلى سلوك (الممر الأوسط) بين التلذذ والزهد الخالص في الدنيا الذي يدعو إليه البراهمة، ويقول أن لهذا الممر ثمان شعب هي النظر الصحيح والإلهام الصحيح والتفكير الصحيح والسرور الصحيح واللفظ الصحيح والسير الصحيح والحياة الصحيحة والجهد الصحيح ويقول أن للحقيقة أربعة أركان هي:

١. الرغبة غير المستكفية تؤلم.

٢. الرغبة أصل الألم.
٣. لاستئصال الألم يجب نبذ الرغبة.
٤. لأجل منع الألم يقتضي إتباع الممر الأوسط لبوليس في تعاليمه شيء عن الله أو عن تقديم القرابين فقد اهتم بنشر المحبة وأشار إلى عشرة قيود وخمسة موانع وأربع مغيبات يوجب على أتباعه تركها لأنه "إذا غلب الإنسان نفسه وقهرها وتمكن من قيادتها إلى الطريق السوي وصل إلى المثل الأعلى".

أما الخطايا الكبيرة فهي في نظره ثلاث:

١. الاستسلام للملاذ.
٢. سوء النية.
٣. الغباوة؛ والتخلص منها يوصل إلى "النيرفانا" كذلك يوجب البوذا تحرير الحياة في الدنيا وليس في الآخرة لأنه لا يسلم بفكرة خلود النفس ولو أنه يقول بالتقمص فلا شيء اسمه النفس وكل ما في الأمر هو أن الرغبة تنتقل في الحياة الأخرى من شخص إلى آخر وهذا هو ما يسمونه "كارما".

وكان يلقي تعاليمه شفاهاً على أجزاء "سوترات" بالرغم من أن الكتابة كانت معروفة في ذلك الوقت. وقد جمع تلاميذه أقواله خلال الستمائة سنة التي تلت مماته من أفواه المحدثين والرواة وأثبتوها بلغة بالي لأن السنكسترية كانت قد انقرضت، ونجد الآن أغلبها مطبوعاً وشيئاً كثيراً منها مترجماً إلى اللغات الحية.

كتب البوذية المقدسة

لا يدعي البوذيون أن كتبهم منزلة؛ فهي لديهم بمثابة ككتب الأحاديث والسنة عند المسلمين ويوجد منها نصان؛ واحد يأخذ به اتباع البوذية الشمالية وآخر للجنوبيين ويعتمد علماء مقارنة اللغات والأديان على الثاني وهو الذي سأتكلم عنه فيما بعد وتنقسم كتبهم إلى ثلاث سلاسل (بيتاكا) هي:

١. الفيتايابيتاكا: مجموعة قوانين طريقة بيكوس أقدم وأقوى الطرق الدينية البوذية جمعت، حوالي سنة ٣٥٠ ق. م وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

٢. السوتافيبانجا: تحوي القانون الجنائي الحاوي ٢٢٧ مادة منها ما يختص بالذنوب التي تستدعي حرمان مرتكبيها ومنها ما يختص بالذنوب القابلة للتوبة.

٣. الكانداكاس: أو الفصول عبارة عن مجموعتين كبرى وصغرى وأضيفت إلى الصغرى فيما بعد العشر نقط التي أسست عليها البوذية وكذلك قرارات المجلسين الذين انعقدا في سنتي ٣٨٠ و٣٢٠ ق. م. لأجل تنقية التعاليم البوذية. وتحوي الكانداكاس بيانات عن كيفية قبول الطالبين للدخول في طريقة بيكوس السالفة الذكر وعن كيفية تنظيم الاجتماعات مع تنبيهات خاصة عن ابتداء وانتهاء فصل المطر وعن العقاقير والأطعمة والمساكن وعن حياة

الإخوان الخاصة وينسب البوذيون قول وفعل هذه الأشياء إلى جوتاما ويحثون الأتباع على السير على منواله وهم لم ينسوا حتى ذكر الظروف والمناقشات التي أدت إلى فعل أو قول كل منها.

٤. الباريفاراباتا: مخلص القسمين السالفين ويظهر أنها وضعت خصيصاً لتعليم المبتدئين وفيها أسئلة من معضلات يواجهها الإنسان في حياته.

٥. السوتابيتاكا: مجموعة من الخطب ألقاها جوناما بنصها (رغماً عن أنها ذكرت أشياء عنه بعد مماته) وهي مكونة من خمس مجاميع تبحث في مسائل فلسفية ودينية مختلفة.

المجموعة الأولى: تحوي ٣٤ خطبة ملئى بمدح البوذا وتنقسم خطبها إلى ثلاثة أقسام الأول يحوي ١٣ خطبة أهمها الأولى وفيها ملخص الأخلاق في الفلسفة البوذية وهذا القسم ينقسم بدوره إلى فصول ثلاثة يبدأ أولها بمقدمة تاريخية تعقبها وصايا البوذيين العشرة وهي:

١. يجب أن لا تقضي على حياة.

٢. يجب أن لا تأخذ مالاً يعطى إليك.

٣. يجب أن لا تقول ما هو غير صحيح.

٤. يجب أن لا تستعمل شراباً مسكراً.

٥. يجب أن لا توجد علاقات جنسية محرمة.

٦. يجب أن لا تأكل في الليل طعاماً نضج في غير أوانه.

٧. يجب أن لا تكلل رأسك بالزهر وأن لا تستعمل العطور.

٨. يجب أن لا تقتني المقاعد والمساند الفخمة.

٩. يجب أن لا تحضر حفلة رقص أو غناء.

١٠. يجب أن لا تأخذ ذهباً أو فضة.

ويجب على كل شخص يريد الالتحاق بالطريقة التعهد بعدم مخالفة هذه الوصايا ويلي ذلك كتابات عن السحر والنبوءات والعبادات ويبحث الفصلان الثاني والثالث في التضحية الحلال والتضحية الحرام وفي مرمى الإخوان وفي هل الروح غير الجسد وفي فكرة النفس وفي الأخلاق الخ.

أما القسم الثاني فاسمه كتاب المائت العظيم ويحوي قصة مرض جوتاما ووصاياه الأخيرة ومما تحويه "الذين هم والذين سيكونون بعد موتي ضياء وملجأ لأنفسهم ولا يلجئون إلى غيرهم يصلون إلى أرقى الدرجات، الانحلال طبيعة الكائنات المرئية فاعمل بعقل لأجل خلاصك".

والقسم الثالث ليس إلا متمماً للسابق.

وتحوي المجموعة الثانية ١٥٩ خطبة كل منها أقصر من أي من

خطب المجموعة الأولى وتحوي التعاليم البوذبة. تبدأ ببيان عن الظروف التي القيت فيها، ثم كلام عن إحراق الجثث فكلام عن جوتاما الذي مات وإليك شيء من محتوياتها :لا ينتج من الانتساب إلى الطريقة (بيكوس) أي نجاح للإنسان وكذلك لا يمنع الانتساب إليها عقاب العاقين كما وأنه لا يمنع مباركة الصالحين ولا يحمي المجرمين من قصاص القانون فيجب إذن على الإنسان أن يوجد له كرامة ودنيا لأنه ليس في مقدرة الطريقة مقاومة الحقائق الطبيعية".

المجموعة الثالثة لم تترجم إلى الانكليزية بعد.

المجموعة الرابعة وهي أكبرها ولها ثلاثة أصول كتبت بالسنغالية والبورمية والسيامية وثلاثتها تتفق مع بعضها لدرجة كبيرة؛ ولا تحوي المجموعة شيئاً جديداً غير ما سبق وما سيأتي ذكره.

المجموعة الخامسة مواضيعها مختلفة وهي عبارة عن ١٥ كتاباً يحوي الأول صوراً بارزة لتطور الأفكار الدينية في العصور المختلفة وفيه أركان الإيمان البوذي ويبدأ هكذا؟

"أضع ثقتي في بوذا، أضع ثقتي في القانون، أضع ثقتي في الطريقة (طريقة بيكوس) الخ".

ويلي ذلك شرح الوصايا العشر فخطبة عن أصل السعادة وأخرى لمخاطبة "الأرواح المتجمعة سواء كانت على الأرض أو في الهواء" ثم كلام عن الجواهر الثلاثة: بوذا والقانون والكهنة، فكلام عن عدم الفائدة

من إخفاء الكنوز (الرغبة في الإحسان والرفق والصبر الخ) فخطبة عما يجب أن يفعله العاقل الباحث عن صالحه.

أما الكتاب الثاني فهو أحسن الكتب ونصفه موجود في الكتب الأخرى ويبحث المواضيع الآتية: العضد، الأفكار، المجنون، العاقل، والجليل، الشرير، العقاب، الشيخوخة، النفس، الدنيا، البوذا، السعادة، اللذة، الغضب، الرجس، الطريق الهابط، ويحوي الكتاب الثالث أحاديث جوتاما ومن هذه حديثان ينهيان عن أذى الحيوان وإليك مثال مما يحويه:

"الذي يلاطف المهجور المجهول، الذي يخضع نفسه، الذي يثبت من أجل الحق، الذي يدفع الشر ويبعد الخطيئة، سعيد. سعيد هو المستقيم الذي ليس لديه ما يملك فإن صاحب الملك تعبان وذلك لارتباطه من الغير".

ولم يترجم الكتاب الرابع إلى الإنكليزية حتى الآن.

ويتكون الكتاب الخامس من خمسة مواضيع تبحث في حسن النية، العقل غير المحدود، من هو المفكر الحقيقي، الخلاص، القانون، النظام، الفكر الفاسد والعمل الرديء هما فقط اللذان يحطان من قيمة الإنسان، الصداقة الحقيقية، الجسد مصدر الملذات، ملاحظات عن البراهمة القدماء وإليك منه فقرة:

"تنبه واجلس. ما الفائدة من نومك، اللذين يشعرون بالمرض والمجروحون والمتألمون لا ينامون، تنبه واجلس وافهم معنى السلام، لا

تدع ملك الموت يعرف أنك كسلان فيستغلفك، أصرع هذه الرغبة التي يميل إليها الناس والآلهة، لا تترك برهة تمر بك بلا عمل نافع، فالذي يتركها يتألم، النوم رجس وكثرة النوم رجس".

ويحوي الكتاب السادس شرحاً عن الحياة المستقبلية "في القصور السماوية".

وأما الكتاب السابع فموضوعه الأرواح الغير مجسدة ويحتوي الكتاب الثامن أناشيد الرفاق وضعها ١٠٧ من تلامذة البوذا ولكل أنشودة مقدمة عن الشخص الذي وضعها ولها نهاية تشرحها.

ويحوي الكتاب التاسع ٧٣ أنشودة للرفيقات وفي الكتاب العاشر ٥٥٧ قصة وحكاية خرافية وأساطير وألغاز حاول واضعها تمثيل البوذا في كل واحدة منها في دور من أدوار تجسده، فيصيره مرة ملكاً وأخرى سائق فيل أو معلماً أو شجرة أو حصاناً.

٥. الأبيدامابيتاكا: ويحوي الجزء الفلسفي من الأدبيات البوذية وهي سبعة أجزاء تنحصر مباحث الجزء الأول في "الحس" صورة النفسية الفلسفية في تعاليم البوذية استنتاجاته منطقية ومباحثه تدور حول الشعور الطيب (الخير) والشعور الرديء (الشر) والشعور اللبين بين

ولم يترجم القسمان الثاني والثالث إلى الانكليزية بعد.. وفي القسم الرابع تقسيم للناس إلى ستة أقسام على أساس أخلاقهم.

وخصص القسم الخامس للرد على الهراطقة ومن مواضيعه "هل هناك نفس المعنى المقصود من الكلمة؟ هل أوجد الفراغ نفسه؟،

ولم يترجم الجزآن السادس والسابع.

ومما سبق يمكننا أن نحكم بأن البوذية لم تكن ديناً فهي تعاليم فلسفية أشار الجوتاما بإتباعها ويحاول العقلاء من أتباعها إبعادها بقدر الإمكان عن الخزعبلات والأساطير التي يضيفها الناس إلى الأديان والمبادئ ولكن لم يبذل أي مجهود حتى الآن لإعطائها فرصة لمسايرة روح التطور ومجاراة التقدم العصري.

الكنفوشية

كنفوشيوس (٥٥١ – ٤٧٩ ق. م) لفظ محرف عن ونج – فو – تسزو كونج (أوكانج) اسم رجل وفو – تسز (أو تسز فقط) معناها (الحكيم أو حكيم) فإذن كلامنا الآن يدور حول الحكيم كونج الصيني صاحب المذهب أو الدين المشهور.

ولد في مقاطعة "لو" من أعمال ولاية شانتنج وهو سليل فرع ملكي خلفه أبوه الضابط العظيم وهو في سن السبعين وقضى المترجم عنه شبابه في الفاقة ممتهناً التدريس وكان ذلك وهو في الحادية والعشرين من عمره ولم يلبث طويلاً حتى استبدل أطفاله بحواريين أخذوا عنه الفلسفة بلا مقابل وعاش في شهرته كما يعيش عامة الناس.

عين قاضياً فعدل ولكن اضطره حساده للانسحاب من منضدة القضاء فحاول الاشتغال بالسياسة على نسق عصره، أي بإسداء الوعظ للملوك، ففشل فلم يجد بداً من الانكماش ينفخ لهب أفكاره في تلاميذه؛ وبهم اشتعلت تلك النيران العظيمة التي أضاءت الشرق الأقصى.

لم يكتب شيئاً بنفسه ولكن أثبت تلاميذه كل ما سمعوه واستنتجوه، وقبل أن نتكلم فيما علم لتلاميذه يجب شرح الدين الأسبق لعهده.

قبل وجود الأشياء لم يكن هناك شيء؛ ولكن تجمع بمرور الزمن هذا اللاشيء، فتمخض عن الجوهر الفرد الذي انقسم بعد مرور أزمان أخرى إلى قسمين "الذكورة والأنوثة" وانقسم كل منها إلى قسمين كبير وصغير ومن تفاعل الأربعة وجد "بانكو" المحيط بكل شيء فلما مات خلفه الوجود فمن أنفاسه نشأت الرياح ومن صوته الرعد ومن عينه اليسرى الشمس؛ ومن اليمنى القمر ومن دمائه الأنهار ومن شعره الأشجار والنباتات ومن جسده التربة، ولما انهار عرقه تساقط المطر ونشأ الإنسان من الطفيليات التي كانت عالقة بجسده.

هذا كان اعتقادهم في تكوين العالم. وكانوا يعبدون الشمس والقمر والله والسيارات الخمس وأسلافهم. وكانت عبادتهم غناء ورقص وموسيقى "لإدخال السرور في قلب الله" وكان الملك يصدر بين آونة أخرى مرسوماً باعتبار هذا الشيء أو ذاك من أركان العبادة وكم زالت عبادات وكم تنوسيت آلهة لسقوط مملكة ونشوء مملكة أخرى ويحسن أن أسجل هنا ما كتبه ملك منتصر بعد أن طرد سلفه من العرش "أعطى الله لكل إنسان ضميراً، إذا تبعه يحفظه ويقوده إلى الطريق السوي، والله دائماً يبارك الطيب ويعاقب الرديء ولذلك أنزل الصائب على بيت هشيا (البيت الملكي السابق) كي يضع حداً لجرائمه. ولم يكونوا يعتقدون لا بالشيطان ولا بالجحيم. ولله عند الصينيين لفظتان هما (تي ين) ومعناها السماء التي نراها و (شانج تي) أي أرواح من مات من الإمبراطورة وقد أخذت معاني الكلمتين تتغير إلى أن أصبحت (شانج تي) تعني (الحاكم الأعظم) وازداد معنى (تي ين) غموضاً حتى عنى بها (المقدر) وقد وجد

مبشرون الكاثوليك صعوبة في اختيار أحد الكلمتين لاستعمالها في التبشير، فأمر البابا عام ١٧٠٤ باستعمال (تي ين) للدلالة على الله وجعل معناها مولى السماء. وكثيراً ما يعثر الإنسان في كتاباتهم على جمل مثل يوجد إله عظيم لا يكره أحد، والله معنا؛ وأعمال الله ليس لها رائحة ولا صوت. وقد جاء وقت احتكر فيه الامبراطرة عبادة الله لأنفسهم بصفتهم وأرثيه على الأرض.

وكان هم المفكرين والحكماء قبل كونفوشيوس منصرفاً إلى اصلاح نظام الحكم وتخفيف وطأة استعباد الفرد فقد أجاب أحد الحكماء ماسكه عندما سأله الإدلاء بما يجب على الأمير الاهتمام به قبل كل شيء، وتصادف أن نظر الحكيم إلى السماء، فظن الملك أن أهم شيء هو الاهتمام بالله، فقال: "لست أقصد هذا الأزرق النير محدود، فالملك العاقل هو الذي يرى الله في شعبه".

اعترف كونفوشيوس بوجود من هم أرقى من البشر ولكنه أنكر بتاتاً إمكان معرفة شيء عنهم، لأنه بالرغم من أنهم محتلون كل الأماكن فليس هناك من يستطيع رؤيتهم أو سماعهم. قدم نفسه إلى تلاميذه نبياً أرسلته السماء وكان يطلب من الله أن يحفظ تعاليمه في عقول الصينيين أبد الدهر. ورغماً عن أنه لم يحاول البحث في موضوع الأرواح "لأنه لا يوجد حول الإنسان ما فيه الكفاية لإشغال عقله به كل وقت، وواجبات الإنسان نحو الله أقل قيمة من واجباته نحو أخيه الإنسان" كان يقدم لها القرابين، وكان يسلم بفكرة القضاء والقدر، وكان يتشاءم من هزيم الرعد.

ويرتجف ويتغير لونه، كما وأنه كان يجري ما يجريه بسطاء الصينيين لطرد الأرواح الشريرة من منزله وكان، يقف لكل من مر عليه لابساً ثياب الحداد. حرض على تقديس الماضي وتقليد العادات القديمة، وحض على الترفع عن المطامع "يشتكي المغفل لأنه غير معروف للناس بينما يشكو العاقل لأنه لا يعرف الناس". أمر بالإحسان والصفح وحث على إظهار الندم "خير للإنسان أن يكون قدوة للغير من أن يعظه". حاول أن يجعل تعاليمه عملية قدر الإمكان ولم يترك لتلاميذه رأياً في ماهية ونهايته الإنسان.

عبده أتباعه بعد موته، وليس الذنب في ذلك على تعاليمه، ولكنه ميل العامة لتأليه عظمائهم في كل مصر وعصر هو الذي دعى القوم إلى إشادة الأصنام له ثم أحاطته بهالة من الآلهة التي حكموها على السيارات وعلى الظواهر الطبيعية.

فالكونفوشية ليست في الوقت الحاضر إلا نوعاً من عبادة الأسلاف.

مات ودفن بالقرب من مدينة (كيوه فو) التي يسكنها ما يقرب من ٥٠٠٠ نفس من العاطلين لأنهم "أشراف" من سلالته. وهذا في نظرهم سبب كاف يخولهم الحق في أن يعيشوا متطفلين على غيرهم من المجدين البسطاء.

وبنوا حول ضريحه معبداً هو كعبة يحج إليها الناس وله أكثر من ٥٠٠ معبد يضحون فيها قبل مطلع الفجر مرتين كل سنة، مرة في الشهر

الثاني ومرة في الشهر الثامن. فيرقصون ويقرعون الدفوف وهم مكونون لحلقات تتألف الواحدة منها من ٣٦ أو ٦٤ شخص يرددون شمائله بصوت عال.

الأدبيات الكونفوشية

نفتح الكتب الخمسة التي وجدت قبل عهده كي تلائم نظرياته. وقد جمع هذه الكتب نساخو السراي الملكية في عهد الأسر المختلفة التي حكمت البلاد وهذه الكتب الخمسة هي:

١. كتاب المستندات التاريخية ويبحث في حروب الملوك وأعمالهم وما نصحهم به الحكماء.

٢. كتاب الأناشيد ويحوي مجموعة مبتكرة من الأناشيد التي كان يتناقلها الناس في أنحاء الصين في العصور المختلفة.

٣. كتاب الطقوس وفيه بحوث عن كيفية تقديم القرابين والعبادة في العصور المختلفة. فهو تاريخ لتطور للأفكار الدينية في بلاد الصين.

٤. كتاب التغييرات ويبحث عن الحظ والنصيب ودلالة الرموز الثلاثية السداسية وله عشرة ملاحق بها شروح لكتاب مختلفين.

٥. كتاب الربيع والخريف وينسبه البعض لكونفوشيوس وينفون وجوده قبله. وفيه كلام عن الفترة بين ٧٢٢ – ٤٨١ ق. م.

وهناك كتاب "تقوى البنين" ويدعي البعض أنه هو الخامس، ويعزوه

البعض للمترجم والبعض يعزونه مع سابقه له. ومنهم من ينسبه لأحد التلاميذ. وفيه فلسفة الأخلاق الكونفوشية مع إرشادات عن كيفية مقابلة الملوك والكبراء وما يجب على الصغار إتباعه.

ولهم غير هذه أربعة سجلات هي أقل قداسة في نظرهم من الكتب السابقة ويعزي تحريرها إلى تلاميذه وهي:

١. سجل التحليلات. وفيه تحليل نفسية وأخلاق المعلم الأكبر مع أحاديثه وأوصافه وأعماله. فلم يتركوا شاردة له ولا واردة إلا قيدوها فيه.

٢. مؤلفات الحكيم مانج خليفته (مانج – فوتسز) وأثره في الدين كأثر بطرس في المسيحية أو عمر في الإسلام وقد نفث الروح في المذهب ودعم بناءه الهائل وقد كتب سبعة كتب.الكتاب الأول وفيه يحض الملك على حكم رعيته بالعدل "لأن أنانية الملك تسبب دائماً كراهة شعبه له". والكتاب الثاني يرسم الطريق التي يتبعها إذا ألقيت إليه مقاليد الحكم "لأن هناك فرق بين الإخضاع بالعنف والإخضاع باللين" وفيه انتقاد لحكومة عصره. الكتاب الثالث ويدور البحث فيه حول نظرية "أن الإنسان طيب بطبيعته" وفيه يصور الإنسان الكامل حسب اعتقاده. والكتاب الرابع يبحث الحكومة الحسية لأنه "يجب أن يكون الحاكم عاملاً وشريفاً وأنه لا نفع من القوانين الحسنة وحدها. فليعرف الملك نفسه. الفرد هو أساس العائلة والولاية والدولة" وفيه كلام عن التباين والتشابه بين الحاكم والمحكوم

"الحاكم العادل معناه أمة سعيدة والأمة التعسة معناها تاج ضائع. وكما أن العين هي مظهر القلب، كذلك الأفعال هي علامات للطيبة الداخلية". الكتاب الخامس يحوي نقداً لرجال عصره وكلاماً عن آداب المعاملة وواجب الوزراء وعن الصداقة. الكتاب السادس يبحث فيه عن موضوع الكتاب الثالث ثم يقول أن عقول الناس كلها متشابهة "ولكن الطيبة الباطنية تضعف في البعض لحاجتها إلى الصقل كنتيجة لإهمال خاصة (نبلاء) السماء لها". الكتاب السابع وقد كتب من نفسه بينما كان مانج ممسكاً بالقلم. وفيه "لو درسنا أنفسنا نعرف ماهية السماء (الله) ولكي نخدم السماء يجب أن نلبي نداء طبيعتنا الحقيقية. "إن في إمكانك مساعدة الشخص ولكن ليس في مقدورك أن تجعله قادراً. الفيلسوف هو معلم مائة جيل. الزمن يفسد الرجل القادر. إن في استعمال العقل إنارة لطريقه. الكلمات الطيبة تصيب هدفاً أبعد مما يصيبه غيرها. لأجل أن تغذي العقل أقلل من الرغبات"

٣. كتاب العرفان الأكبر كتبه حفيد كونفوشيوس واستهله قائلاً "قال أستاذي كانج العظيم – العرفان الأكبر كتاب قدم للمدرسة الكونفوشية كمدخل يلجه المبتدئون لطلب الفضيلة. يجب على المبتدئين درسه حتى يكون هناك أمل لمنعهم من الوقوع في الخطأ" وحاول في هذا الكتاب إظهار الفضائل والحث على المحبة. وأشار إلى سبع درجات يوجب ارتقاءها أولاً وهي: البحث، كمال المعرفة، التفكير بإخلاص، نقاء القلب، التربية الشخصية، تنظيم العائلة، وأخيراً إدارة الملك.

٤. التعاليم المعتدلة (أو مركز التوازن) وهو قانون الفكر كما أورثه السلف للخلف وقد أمر الحكيم تزس (تزس – تسز) بكتابته خوفاً من أن ينسى أو يتطرق الخطأ إليه. وإليك شيء مما يحويه. "التي أعطته السماء هو الطبيعة والسير مع الطبيعة هو الممر، وتنظيم الممر هو التربية. ويقال أن العقل يوزن إذا لم تكن هناك لذة أو غضب أو فرح أو ألم ولكن إذا تحركت هذه الإحساسات يقال أن العقل في حالة موازنة. فالأساس هو الموزون وأما الموازنة فليست غير الممر الأعظم" و"إذا نتج ذكاؤنا عن إخلاص لكان هذا أمراً طبيعياً ولكن إذا نتج إخلاصنا عن ذكاء فهذا نتيجة التهذيب. فعلموا الإخلاص تجدوا الذكاء وأوجدوا الذكاء تجدوا الإخلاص" وأيضاً "لا يتشدق العظيم بفضائله فهو كالسماء (الله) التي لا صوت ولا رائحة لها مع أنها هي الفضيلة الكاملة".

الزرادشتية أو المجوسية

المجوس هم أتباع زرادشت وقد كتب هيرودوتس عن الفرس يقول: "ليس من عوائدهم نصب تماثيل لآلهتهم ولا تشييد الهياكل والمذابح لها ويعدون من الحماقة فعل ذلك. يضحون للشمس والقمر وللنار وللهواء وللماء ولكنهم قلدوا الأشوريين أخيراً في عبادة الزهرة وأسموها مثرا".

المجوسية دين أتى به النبي زرادشت منذ ١٠٠٠ أو ٦٠٠٠ عام قبل الميلاد. ولم يبق من أخبارها إلا نتفاً في بطون الكتب، وإلا بعض الاعتقادات. لأن الإسكندر قد أتى على بعضها وقلص المسلمون ظل البعض الآخر. ولولا جمع الملوك الساسانيين لشتات ما تبقى بعد غزوة الإسكندر لبلاد فارس؛ ولولا نزوح بقية من المجوس في عهد الفتح الإسلامي إلى ولاية بمباي في الهند، لكان أثر المجوسية في خبر كان الآن.

ولا يعرف بالضبط أين ومتى ولد زرادشت ولكن يرجح العلماء المحدثون انه لم يكن فارسياً وأنه كان إما ميديا أو بخارياً ويقول أتباعه إنه "رسول أرسله الله إلى الناس ببركة المتمدن ومنعهم عن عبادة الأوثان" وهم يتناقلون خلفاً عن سلف قصصاً بدت فيها معجزاته واصفين إياه بأنه كان "حكيماً حيرت حكمته الحكماء" ورفع إلى السماء العليا حيث نال الخلود ووقف على أسرار الغيب.

انزوى زرادشت ليتأمل قبل أن يبلغ الثلاثين ثم قام بدعوته إلى أن مات وهو في السابعة والسبعين من عمره. أما ما نعرفه عن المجوسية فهي أنها دين ازدواج تسلم بوجود إلهين وبوجود خير وشر وطهارة ونجاسة. والإلهان في تنازع مع بعضهما، والعناصر يناقض بعضها البعض. إله الحكمة، إله السماء هو الإله "هرمز" ويرمز إليه بالشمس وأما الإله "إهريمان" غريمه فهو أمير الظلام موجد الشر وهرمز هذا هو "أهورامزدا" القديم، وأما أهريمان فهو "أنجرامانو".

أهورامزدا (هرمز) موجود أبدي سوف يأتي اليوم الذي يتمكن فيه من أن يصرع خصمه الشرير، وعندها ينتهي هذا العالم ويخلفه غيره. وجد مع ضده أهريمان منذ البدء. هو الأب الخالق المتصف بكل صفات الإلوهية العظيمة ولكنه ليس قادراً بمعنى الكلمة لأن ضده الشرير سيزاحمه لمدة ١٢٠٠ سنة. هو مصدر النور رافع الأرض وقاضيها العاقل، هو العالم، ويحيط بعرضه ستة من عظام الملائكة وكثير غيرهم من الملائكة العاديين. بالاختصار هو الله.

أهريمان (أنجرامانو) هو إله الشر، أو مبدأ الشر حكمه مؤقت وبطشه محدود. هو ملك الأرواح النجسة وتحيطه الشياطين كما تحيط الملائكة ضده. وبالاختصار هو الشيطان.

قدر هرمز للعالم ١٢٠٠٠ عام قضى منها ٣٠٠٠ في خلق العالم الروحي ثم شعر أهريمان بوجود ذاته وقتما انكشف عنها النور فأحب أن ينشئ لنفسه دنيا رافضاً الخضوع لنهي هرمز. وهكذا تيسر له خلق العالم

المادي في ٣٠٠٠ سنة أخرى أوجد فيها السيارات والماء والأرض والنبات والحيوان والإنسان. ومع هؤلاء خلق الأرواح الشريرة لأجل أن تساعده وتأتمر بأمره. فالأول تسبب في إيجاد الخير وأما الآخر فأوجد مضادات لما خلقه الأول. ثم بدأت فترة ٣٠٠٠ سنة وقع فيها صدام هائل بين الخير والشر وفيها ولد زرادشت وكان بشيراً بانتصار الخير وسيقضي على الشر في نهاية الفترة المذكورة.

خلق أهريمان الثور وحمله شروراً كثيرة مات من ثقلها. ومن أعضائه خلق أهريمان النبات والحيوان، الذكر والأنثى وعندئذ أصبحت الأرض صالحة لوجود الإنسان فأمسك أهريمان بنقطة من العرق وصلى عليها فنشأ رجل ذبحه وبذا تمكنت بذرته في الأرض ونشأ عنها توأمان ولدا مثلهما فأكلا ولدهما ثم ولدا للمرة الثانية سبعة توائم هم أصل الناس.

وأما الدنيا فتنقسم إلى سبع طبقات، دنيانا هي الوسطى وأما بين كل طبقة وأخرى فتوجد الأمواه، وبين كل سماء وأرض يوجد جبل مقدس تنبع منه الأنهار التي تحوي المياه المقدسة (ولعله جبل قاف).

وكانت الزرادشتية في الأصل دين طقوس تحث على الخير وتدفع الناس إلى العمل "فإن بناء جسر أو حفر ترعة يساعد على إزالة الشرور" ولكن تسربت بمرور الزمن إليها تعاليم خيالية تحرص على الانكماش والابتعاد عن العالم وأصبح الزرادشتيون يلوكون اصطلاحات مثل خلاص النفس. وبعدما كانوا لا يعرفون الصور والتماثيل ولا يشيدون الهياكل بدؤوا في بنائها وثابروا على عبادة النار فيها كما كان يفعل أجدادهم قبل

أن منع زاردشت عبادتها وهم يحرمون إضاءة معابدهم. ومنعوا الاقتراب من النار عن كل الناس إلا الكاهن وذلك بعد أن يكسو يديه وفمه حتى لا يدأسها. ثم أوجدوا بمرور الزمن لهم أصولاً غريبة في الطهارة حتى أنه يجب لأجل تقليم الأظافر أو قص الشعر القيام بفروض مخصوصة ويتحاشون خلطها بالنجاسة.

يأنفون من حرق موتاهم ولا يدفنونهم ويعدون إلقاء الجثث في الماء جناية. أما الطريقة التي يقيمونها فهي وضع الجثة في "برج السكوت" لتكون طعاماً للجوارح.

الغاية من دينهم تطهير الناس من دنس السفالات الجسدية والفكرية وإلحاقهم بعالم يحل فيه بهم لاهوت الله العظيم. والرجل في اعتقادهم كائن مفكر ذو إرادة حرة له ضمير ونفس وروح وله قوة الاختيار بين الخير والشر لذلك وجب أن يتحمل نتيجة خطئه. ويعتقدون أن النفس تحوم حول الجنة ثلاثة أيام. ولذلك يقيمون للمتوفى جنازة عظيمة طول هذه المدة، يقدمون فيها التقدمات ويشعلون النيران حولها في الليلة الأخيرة، وأما النفس فتصعد بعد ذلك إلى السماء رغم محاولة الأبالسة جذبها إلى باطن الأرض. ولما تصعد النفس إلى فوق، يقابلها الديانان، مثرا وراشنو، فيزن الثاني منهما أعمالها الحسنة والسيئة ويدفعانها بعد ذلك لقطع الجسر الذي يصل السماء بالأرض (الصراط) فتراه الأنفس التقية متسعاً. وأما الخاطئة فتراه أرفع من الشعرة ولذلك يتعسر عليها المرور فوقه فتقع في الهوة المؤدية إلى السعير. أما الطيبون فيمرون عليه ويلجون أبواب السماء.

وبعد أن يعيث الإله الشرير بالأرض ٣٠٠٠ سنة يتغلب السلام ويفك عقال المارد العظيم ليفسد في الأرض ردحاً آخر من الوقت. فيرسل له أهورامزدا من يقتله قرباناً لقدوم المخلص المولود من عذراء (المسيح) فتقوم الأموات لحضوره وعد ذلك يزداد الأنين وتنهار الجبال ويعلو الطوفان وتنتثر المواد الملتهبة المصهورة لتفني الأشرار ولكنها لا تمس البررة. هكذا يبدأ عالم جديد ليس فيه عسر ولا انحلال ولا موت بل يحوي النمو والحياة الأبديين.

الزند أفستا

نزلت الأفستا وحياً فكتبت بأحرف من ذهب ولكن الإسكندر أفنى معظمها، ثم جمعت بعد ذلك من صدور الرجال ومن الكتب. وذلك في عهد حكومة الساسانيين. ثم لما فتح العرب بلاد الفرس أفنوا ما وجدوه منها إلا ما حفظ عليه البعض سراً. ويستدل من أخبار العرب واليونان والأرمن أن الأفستا كانت عبارة عن ٢٩ كتاباً.

ولما سبق ذكره من إعادة جميع الأفستا دفعتين، لا يمكن لنا الحكم تماماً عن الأصيل والدخيل في تعاليم المجوسية، خصوصاً وأن أثر الأدبيات السامية واضح فيها.

وأما الزند (الشرح أو الحديث) فقد كتب باللغة البهلوية وكثير من الناس يظنون خطأ أن "الزند أفستا" كتاب واحد وهو غير الحقيقة لأن معناها هو "السنة والشريعة".

وتنقسم الأفستا إلى أصلية وصغيرة، والأفستا الأصلية عبارة عن:

١. الياسنا: وهي مجموعة من الصلوات كتبت في أوقات مختلفة لترتل وقت تقديم القرابين ولأجل تقديس الماء والشراب الطهور وقربان الكعك وهي مقسمة إلى ٧٢ جزأ ترمز إلى الفترات التي قضاها الإله في خلق العالم وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام

الجاثا: وهي عبارة عن خمسة مقطوعات تتكون من ١٧ منظومة على النسق الآري وهي أقدم وأقدس كتابات الأفستا ويكاد النقاد يجمعون على الحزم بأن المقطع الأول (ألياسنا ٢٨ – ٣٢) هو من عمل زرادشت نفسه في حين أن الباقي مدبج بيراع غيره وملخص يحتوي أبحاثاً في أخبار الحروب التي كان يعضد فيها أهورا أتباعه ويمنع عنهم الإنهزام. وتتكون كل من الست منظومات (٢٨ – ٣٢) من ثلاثة أبيات يحوي كل منها ١٦ شطرة. وأما المقطع الثاني (ألياسنا ٤٣ – ٤٦) فمكون من أربع منظومات تحوي أخبار زرادشت وهو يصارع كي يصل إلى العظمة المؤكدة. وفيها حث للناس على الإتصاف بالصفات الحميدة ومدح للإله أهورمزدا "أيها الأب الأول لجماعة الخيرين، من ذا الذي رسم طريق النجوم والشمس غيرك. ومن ذا الذي تستند عليه الأرض والجو إلا إياك"

وأما المقطع الثالث (ألياسنا ٤٧ – ٥٠) ففيه ذكر للوقت العصيب الذي لم تحتج فيه المجوسية إلى مخالفة الغير لأن أهورا كان دائماً مستعداً للمساعدة. وفيه يطلبون منه "أن لا يحكم فيهم الملوك

الطاغين بل يحكم الصالحين" وستنزلون غضبه على الحاسدين.

أما المقطع الرابع (ألياسنا ٥١) فهو عبارة عن عبادة لاهورا وأبحاث عن إخلاص وخضوع الذين يعدون أنفسهم مستقيمين وصالحين لخدمة المسبب الأعظم.

والمقطع الخامس (ألياسنا ٥٣) وهو الأخير فيحوي، قصة زواج ابنة زرادشت ولا يخرج، عن أن يكون نشيداً سياسياً دينياً.

ألياسنا السبعية: وهي أقرب الكتابات عصراً إلى الجاثا وتختلف عنها في الروح وفي اللفظ وفيها محاولة لتنظيم علم لاهوتي للزرادشتية تحوي صلوات لاهورا وللمخلوقات المقدسة وللعادلين وللأرض وللمياه المقدسة وللنفس ولاهورا الملك والحياة والمثيب "الحمد لاهورامزدا خالق المواشي والطهارة والماء والشجر المثمر خالق جمال النور والدنيا وكل ما هو حسن. مالك الملك. صاحب القوة والعزة. نحمده لأنه أعظم من الملائكة ولأنه يحل في المواشي، نحمده بأجسادنا وأرواحنا كما نحمد الأطهار والطاهرات. وكما نحمد الطهارة الكاملة. هو الأجمل والأطهر الذي لا يفنى، الذكي الجامع لكل ما هو حسن.

ألياسنا المتأخرة: وهي خليط من كتابات وعصور متفرقة كتبت بلغة الزند وفيها أحاديث زرادشت عن الاعتراف الصلوات والشكر. ويشك العلماء كثيراً في قدمها. ويقولون إنها عبارة عن مقتطفات جمعت لتتلى وقت تقديم القرابين. وبعض محتوياتها أشبه بما تحويه الجاثا من حيث اللغة.

٢. الفستيراد (كل الرؤساء): وهي صلوات كتبت في زمن أقرب إلينا من زمان غيرها من الكتب، موجهة للأرواح المهتمة بالصلاة والذكر لتقوى المؤمنين وصلاحهم وتتكون من ٢٣ فصلاً كلها صلوات للرؤساء وللمياه المقدسة وللنار ولاهورا.

٣. الغنديدا: وهي عبارة عن النظام الديني والقانون المدني والجنائي. فيها ذكر للمخلوقات الطيبة التي جعلت الأرض موطناً عزيزاً على سكانها. وهي تبحث في كل ما له صلة بالحياة الاجتماعية من قصص العمران وما ينتابه من الكوارث الطبيعية والأمراض. وأنواع الشرور الشهوانية. وفيه باب للنجاسة العامة وآخر مختص بنجاسة الموت وثالث عن اللذات المحرمة فكلام عن قدسية الكلاب التي يضعونها في مرتبة النساء. والأفستا الصغرى عبارة عن:

١. السيزورا وفيها ذكر الآلهة التي تشرف على الأيام والشهور، إذ لكل شهر ولكل يوم عندهم إله. فإله اليوم الأول هو هرمز وإله اليوم الثاني برهمن الخ.

وفيها مباحث عن حوادث الحياة اليومية كالحكمة الشفقة والسلم والإحسان والنجاح والمواشي والمياه والشمس والقمر والشجاعة والخضوع للقوانين العادلة.

٢. الياستس وهي مجموعة من عبادات للملائكة وصلوات لجميع طبقات الأرواح وقصة آلهة الماء أرد في سورا أناهبتا. ثم يلي ذلك

قانون القرابين وحديث الخلاف الذي يقع بين إلهي المطر والماء، فقصص بعض الأبطال وذكر للإله مثرا إله النور السماوي المتطلع إلى الحقيقة والمنتقم من الأديان الباطلة. ووصف للإنسان الأول وحكاية تقمص فيرثيرجنا عشر مرات وأعماله العظيمة، وكذلك لحمة ذكر فيها ملائكة الصحة والماء وآلهة الشمس والقمر والبقرة، ملكة الحيوانات كلها وفيها قال زرادشت مخاطباً أهورا مزدا.

– أي أهورا مزدا العظيم خبرني عن اسمك.

فأجاب أهورا

– اسمي الأول هو الذي يسأل واسمي الثاني "واهب القطعان" الخ حتى ١٩ اسماً ثم يقول "اعبدني يا زرادشت ليلاً ونهاراً. قدم لي القرابين لأني أنا الحافظ أنا مبقي العالم. وأن كل من يذكرني قبل نومه وبعد قيامه. لن يصاب بشر من سهام الأعداء".

٣. الاستجداءات وهي دعوات للشمس ولمثرا وللقمر وللأمواه وللنار يحتم على كل من بلغ الثامنة من عمره. تلاوتها بعضها يتلى صباحاً (صلوات الشمس ومثرا) وذلك عند بزوغ الشمس والبعض بعد الظهر (حوالي الساعة الثالثة) والبعض وقت تمام القمر والبعض يتلى يومياً مرة وهي التي يطلب بها الصحة والمساعدة والتضحية وطلب الحياة.

٤. الجاه: وهي صلوات لحراس الليل وحراس النهار تتلى إحداها من ٦ – ١٠ صباحاً. والثانية من ١٠ – ٣ مساء والثالثة من ٣ – ٦ مساء والرابعة من ٦ إلى منتصف الليل. والخامسة من منتصف الليل إلى ٦ صباحاً.

٥. الأفريكانز: وهي الصلوات التي تتلى عند تعاطي النبيذ واللبن وعند أكل الفاكهة وبعضها بتلى للملائكة. والبعض لأرواح الفانين ولكل منها وقت مخصوص.

الأديان الكتابية

اليهودية

وكانت الآلهة تمشي على الأرض تخاطب الناس عندما بدأ تاريخ اليهود. وهم ينتسبون إلى خليل الله إبراهيم، وقد عبر الفرات تاركاً أورالكلدان مهد المدنية في ذلك العصر، قاصداً أرض كنعان تلبية لأمر الرب.

وجاء بعده اسحق ومن وراء اسحق يعقوب (إسرائيل) وإليه تنتمي الأسباط الاثنى عشر وأحد أبنائه يوسف الصديق الذي أطلقت يداه في مصر فاستجلب إليها أهله وعشيرته وأنزلهم أرض غسان – قرب الزقازيق – فنشأت الحفيظة عليهم في قلوب الوطنيين إلى أن بدت فرصة سانحة انتهزوها واستعبدوا الدخلاء حتى قادهم كليم الله موسى وخرج بهم منها بعد أن ضرب الله الأرض ضربات داميات وكان ذلك حوالي سنة ١٢٠٠ ق. م.

وفي وسط صحراء سيناء، كما كانوا يقولون، أو في أرض فلسطين الجنوبية كما يرجح علماء اليوم، تلقى موسي من ربه ألواح الوصايا العشر زبدة (التوراة) كتاب الإسرائيليين المقدس.

ومات الكليم والقوم على وشك دخول أرض الميعاد ولما ولجوها لم يلبثوا حتى تألبوا على بعضهم البعض ثم اشتبكوا في حرب مع الذين حلوا بينهم من الأمم وما زالوا بين تقهقر وتقدم إلى أن استقوى عليهم طيطيس الروماني وشتتهم في أنحاء الكرة الأرضية.

ولا يملك المطلع على سيرتهم نفسه من الإشفاق على هذه الأمة التي كان لها الأثر الأول في تكوين فكرة التوحيد والقول بأن الله واحد لا شريك له.

وعلى الرغم من تشعب اليهود إلى فرق لم يبق منهم حتى اليوم إلا ثلاثة أفرع هم الربانيون والقراؤون السامريون، وذلك بخلاف طائفة تسكن شواطئ بحر اليونان وتخلط اعتقادات الإسرائيليين بالاعتقادات الإسلامية، نبغ منها أفراد كان لهم تأثير في تقدم تركيا الحالي ومنهم جاويد بك وزير المالية التركية المشهور. وبما أنني لم أقف على ما يصح الاعتماد عليه عن جماعة بحر اليونان، سأقتصر على المقارنة بين الطوائف الثلاثة الأخرى.

لا يعد الربانيون والقراؤون طائفة السامرة من اليهود وفي نفس الوقت ترمي كل من الطائفتين أختها بالخروج على الدين ولا يتزوجون من بعضهم، بل كلاهما يعتقد أن أبناء عمومته أكثر نجاسة من أبتاع الأديان الأخرى.

السامرة (الشو مريم) وهم يقطنون مدينة نابلس من أعمال فلسطين ولا يزيد عددهم نساء ورجالاً عن المائة إلا قليلاً، ولهم مذبحهم ولهم توراتهم. وليست أورشليمهم غير جبل غاريزيم القريب من موطنهم. وتوراتهم مكتوبة على جلود القرابين وهم يرجعون تاريخها إلى أربعة وثلاثين قرناً ولكن العلماء المحدثين لا يقدرون عمرها بأكثر من ألف عام. وبينها وبين التوراة المعروفة ما يقرب من أربعمائة خلاف. في حين لا تحوي لغتهم أربعة أحرف موجودة في اللغة العبرانية وهي الألف والهاء

والخاء والعين. وتنقطع صلة أنبائهم بأنبياء الطائفتين الأخريين بعد يوشع. وصلاتهم كصلاة القرائيين وهي تشبه صلاة المسلمين من ركوع وسجود. وهم يغتسلون ويتوضئون ويحجون ثلاث مرات كل سنة إلى جبل غار بزيم ويرجعون بنسبهم إلى يوسف الصديق. ولكن الطائفتين الأخريين تتبرءان منهم وتلقبهم "كوتيم" نسبة إلى مدينة كوته البابلية حيث أتوا بعد الأسر البابلي. وكذلك ترميهم الطائفتان الأخريان بإنكار اليوم الآخر والبعث والنشور والجنة والنار والثواب والعقاب. ولكن الراجح أن هذا محض إدعاء.

لا يهتمون بالتلمود – وهم في ذلك أقرب إلى القرائيين اللذين يقل اهتمامهم به عن الربانين كما سنبين ذلك بعد – ولذا أوجدوا لأنفسهم أصولاً شرعية تبعد كثيراً عن شريعة الفرقتين الأخريين. ولا يصرحون للرجل بزواج ابنة أخته أو ابنة أخيه، مثلهم في ذلك مثل القرائيين. ويقال أن السبب في إتباع هذه العادة أحد الملوك وعد وهو في الحرب من يتسبب في النصر بزواج ابنته، فكان أخوه هو الذي نال هذه الحظوة.

يصلون مقتبلين جبلهم المقدس، لا بيت المقدس، وكذلك يقدمون ذبائحهم وهم متوجهون نحوه. أما عيد الفصح عندهم فستة أيام ولدى القرائيين سبعة وعند الربانين ثمانية أيام.

الربانون (الربائيم) يكونون السواد الأعظم من الأمة، وينقسمون إلى قسمين السفرديم "العرب" والاسكنازيم "الإفرنج" والفروق بينهما طفيفة شكلية تبحث في الأوساط التي يعيشون فيها. فمثلاً الإفرنج لا يعددون

زوجاتهم بعكس الآخرين. وهم أقل تمسكاً بالتقاليد العملية مثل شروط ذبح الحيوانات وإقامة الصلاة التي يئدونها بطريق أقرب إلى الصلاة المسيحية.

ويتمسك الربانيون أشد التمسك بقدسية التوراة والتلمود ويعدون الأخير وحياً أنزل على موسى ولكنه لم يكن مكتوباً، ويكفرون كل من لا يعمل بأوامر التلمود حرفاً ومعنى؛ وهذا هو أصل الخلاف بينهم وبين القرائيين من جهة أخرى، وهم يعدون الأولين ضالين. وأما الآخرون ففي نظرهم دخلاء في الدين.

القراؤون (القرائيم) لا يقدسون غير التوراة ويفسرونها معتمدين على الأدلة العقلية فباب الاجتهاد أمامهم مفتوح على مصراعيه، بعكس الربانين القائلين بأنه أقفل إلى ما شاء الله. ولا يعتبر القراؤون التلمود أكثر من مجموعة آراء لمفكريهم القدماء يصح الاستئناس بها عند مقتضيات الأحوال.

وتوجد اختلافات أخرى بين الربانين والقرائيين أهمها.

١. أخذ الربانين بالميقات الشمسي بدلاً من القمري المنصوص عليه كنتيجة لفتوى ظهرت على أثر خدع السامرة لهم بإضاءة نار على رأس الجبل أخطئوها وحسبوها مطلع الهلال. هكذا يبررون تحولهم. وأما القراؤون فيحسبون على القمر ويعدون أبناء عمومتهم مخالفين.

٢. لا يتشدد الربانون في تفهم راحة السبت ولا في تفسير قانون العين

بالعين والسن بالسن.

٣. الربانيون أشد من الآخرين تمسكاً بالطهارة من الحيض وأقل منهم تمسكاً بطهارة النفاس ويصرحون بزواج الرجال من ابنة أخيه وابنة أخته وابنة امرأة أبيه. ولكن القرائيين يقولون إذا صح ذلك وجب السماح للرجل بزواج عمته وخالته فيحرمونه.

٤. يرث الرباني امرأته ويغالي في طاعة الكاهن. والطلاق سهل عليه وهو حق للرجل فقط. وأما الآخرون فلا يرثون نساءهم وهم أقل اهتماماً بالكهنة. والطلاق عندهم أصعب إذ له حدود. وللمرأة عندهم حق طلب الطلاق بواسطة رجال الشرع في حالة ما إذا أباد الزوج عليها وذلك داخل حدود مخصوصة.

٥. يتم زواج الرباني بالوقاع أو بالعقد أو بالأشهاد ويوجب دفع المهر ولكنهم لا يشترطون موافقة ولي أمر المرأة البالغ. وأما القراؤون فيوجبون العقد المحرر مع المهر ورضاء الولي شرط لازم.

٦. الرباني قيم على مال زوجه، وأما الآخرين فلزوجاتهم حرية التصرف فيما تملكن.

٧. للرباني الأولوية للتزوج من أرملة أخيه فإذا لم يتنازل عن حقه فيها عدت ناشزاً لا يصح لرجل آخر الاقتراب منها، وذلك على العكس من القرائيين.

٨. شهادة الأنثى لا يعتد بها عند الربانيين ولكن يأخذ بها القراؤون.

٩. غير مصرح للربانية المرتد زوجها بالزواج، وهي عند القرائيين طالق منه يصح لها الانضمام إلى غيره ويكتفون بمنع المرتد عن الإرث.

كتب اليهود المقدسة

كتاب العهد القديم كما يسميه المسيحيون والتوراة كما يطلق عليه اليهود من باب التعميم، هو كتاب اليهود المقدس. كتاب أغلبه بالعبرية والقليل منه بالآرامية (عزرا٤-٨ إلى ٦-١٨ و ٧-١٢ إلى آخر ٢٦ أرميا ١٠-١١ دنيال ٢-٤ إلى ٧-٢٨) ويسند اليهود تحرير الأسفار الخمسة الأولى (التوراة الأصلية) إلى موسى ولكن يدعي العلماء المحدثون أن الكتب الستة الأولى تكون وحدة أدبية لأن نسقها واحد.

وينقسم كتاب العهد إلى أقسام أربعة

١- قانون- تكون على ثلاثة مراحل (١) قانون العهد وهو القانون البدائي يوجد في الخروج ٢٠ و٢٢ إلى آخر ٢٣ و٢٤-٣ إلى ٨ و(٢) قانون التثنية ١٢ إلى ٢٦ وهو أكثر ارتباكاً من سابقه وعليه أشيد وكان توطئه للقانون الثالث (٣) قانون الكهنة اللاويين الذين ينسب إليهم وضعه إبان بناء المعبد الثاني.

٢- تاريخ – يحوي سفر التكوين تاريخ خلق الأرض والطوفان (١-١١) وقصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب (١٢-٥٠) وينسبه النقاد

المعاصرون إلى البابليين ويقولون إن فيه ينجلي تنازع مدرستين دينيتين تبادلتا قص القصص وكانت تتبع إحداها آلها تسميه "ياهوا" والأخرى آلها اسمه "ايلوه". أما سفر الخروج فيحوي قصة بني إسرائيل بعد موت يوسف وما حدث من إقامة الخيمة في الصحراء ونزول الوصايا العشر. وفي سفر اللاويين نجد ناماً تشريعياً وضع لبني إسرائيل يحوي إرشادات عن الذبائح والعبادات وتكريس الكهنة وينتهي بإرشادات عن القداسة. وسفر العدد يحوي أنساب القبائل الإسرائيلية وقصة معسكرهم في سينا والتيه ثم وصولهم إلى أرض المآب "مؤاب". والتثنية وهو آخر الكتب التي ينسبها اليهود إلى موسى ويحوي كلماته الأخيرة وخبر وفاته ووصيته بأن يخلفه يسوع. ثم كتاب يسوع وهو آخر الكتب الستة التي يدعي النقاد أنها تؤلف مجموعة أدبية واحدة. ويحوي قصة فتوحاته لغرب فلسطين، وتقسيمه للأرض على الأفخاذ. ثم يليه كتاب القضاة الذي ينسبه النقاد إلى الكنعانيين ويحوي أخبار ثلاثة عشر حبراً مع كلام عن غزو اليهود لأرض كنعنان. فكتاباً صموئيل وفيهما أخبار استيطان اليهود في أرض الميعاد وتكوينهم مملكة. ثم تنازعهم على السيادة. ثم كتابا الملوك وفيهما تتمة أخبار النزاع الداخلي وقصة سليمان. فكتابا الأيام ويحويان قصة الخليقة مرة ثانية حتى عام ٥٤٩ق. م. فكتاب عزرا وكتاب نحميا وفيهما تتمة التاريخ حتى عام ٤٣٢ق.م. وكتاب راعوث وهو حاو لنقد الإصلاحات التي حاول البعض إيجادها. ثم قصة أستير وهي صحيحة كتبت على

النسق الفارسي. ويلي ذلك كتب تحوي أخبار أنبياء العهد الأشوري وهم عاموس وهوشع واشعيا وميخا وصفنيا. فأنبياء العهد الكلداني وهم أرميا وحبقوق وحزقيا. ثم أنبياء العهد الفارسي وهم حجي وزكزيا وملاخي. ثم أنبياء عهد الأوبة وهما يوئيل ويونان.

٣- شعر- ويتكون من مزامير داود وسفر أيوب الذي يقول النقاد أن أصله عربي.

٤- حكم- ويتكون من أمثال سليمان وكتاب الجامعة وكتاب دانيال ويعدونه أحسن ما كتب في الكتاب المقدس.

ولا تتمالك وأنت تقرأ هذه الكتب من الشعور بلذة وأنت تنتقل من عصر إلى عصر تتصفح عقليات وتتصفح تاريخ مدنيات كانت على حالة الفطرة، فارتقت إلى مدينة زاهرة. وفي الكتاب ما هو فطري وما هو مهذب، فلا تصنع ولا رياء ولكن هي البوادر تسطر كما هي.

ونحن مدينون لمبشري البروتستانت والكاثوليك بترجمة هذه الكتب المهمة إلى العربية وقد وثقت من بعض اليهود أن الترجمة حقيقة يأخذون بها في صلواتهم ويفضلون ترجمة البروتستانت.

التلمود ومعناه المفسر. يدعي الربانون أن توراة شفهية كتبت في القرن الثالث المسيحي "خوفاً من النسيان ومن وقوع تحريف في نصها" ويتكون التلمود من أسفار ستة تبحث في الزراعة (١١ فصل) الأعياد (١٢ فصل) النساء (٧ فصول) الدية (١١ فصل) القرابين (١١ فصل)

الطهارة والتلمود مجموع كلي يطلقون على بعضه لفظة الجومارا أو الجمرا أو الجيمارا ومعناه التام. ويصبح هذا التام بدوره كلا يطلقون على بعضه المشنا أو الثاني.

وجمع التلمود الحالي من أصلين أحدهما يمسي الأورشليمي والآخر البابلي. والأول أقدم من الثاني وجدوا منه أربعة مواضيع فقط، ثم عثروا على موضوع القرابين في مخطوطات مهملة فيما بعد، ولم يعثروا حتى الآن على موضوع القرابين الطهارة. وأما النسخة البابلية فقد عثروا على خمس مواضيع منها. وأما موضوع الزراعة فوجدوه قريباً وبذلك تكون قد تمت.

وفي النسختين بعض الاختلافات في المشنا. وأما النسخة الأرشليمية فجوماراها ناقصة.

الصهيونية

وصف الكتب الروسي الشهير مكسيم غوركي أمة اليهود بأنها سيف ذهبي مشهور على رأس أوروبا (مهد المسيحية) ويسهل للمطلع على تاريخ اليهود الوقوف على مبلغ الاضطهادات المريعة التي لاقاها أولئك المساكين حين كانت أوصالهم ترتجف كل يوم من الهلع قديماً، وهم لا يزالون حتى الوقت الحاضر مضطهدين في بعض أنحاء أوروبا، حامية حمى المدينة، اضطهاداً مريعاً يصم العصر وصمة غير مشرفة. ولو أمكن للقارئ تصور حال هذه الأمة وهي تتحمل الضربات الحالية صابرة على الضيم، مجدة في العمل، لكي تلم شعثها وتوحد صفوفها حتى تكون كما

يجب أن تكون أمة لها مكان تحت الشمس، فإنه لا يتمالك من التصفيق بكلتا يديه تشجيعاً لها للمضي في طريق تحرير نفسها من طغيان المتعصبين ضد السامية.

وأنك وأنت تقلب صفحات التاريخ القديم والجديد، لا تملك نفسك من الإعجاب عندما تقرأ أسماء يوسيفوس وغيره من المتقدمين، ثم ماركس وماكس نورداو ودزرائيلي وأينشتين وبرغسون وغيرهم من المتأخرين، خصوصاً متى وقفت على مبلغ الدور الهام الذي لعبه كل منهم على مسرح هذا العالم، وكانت أدوارهم أدوار بطولة حقه فخرهم فيها يزيد كثيراً على نصيب غيرهم منه، لأنهم تغلبوا على الصعاب التي تصادف كل الأبطال، وزيادة على ذلك فإنهم ذللوا صعوبات أقامها البعض في طريقهم، عمداً وبسوء قصد.

ويجب أن لا تنسى مطلقاً بأننا كشرقيين أبناء عمومة اليهود. وليس هذا فقط، بل نحن وإياهم شقيقان تجمعنا الدوحة السامية ويجب ألا يغفل المسلمون عن أن اليهود هم أساتذتهم، وهم أكثر الناس تأثيراً في تأسيس ما يسمونها المدنية الإسلامية.

فكر اليهود كثيراً في موقفهم كلمة من واجبها الدفاع عن كيانها وبعد محاولات كثيرة توصل عقلاؤهم إلى وجوب تعيين مكان ليعتبروها وطناً قومياً لهم فانتخبوا بقاعاً كثيرة كالأرجنتين وشاطئ إفريقيا الغربي وفلسطين ولكن أخفقت جميع التجارب إلا في فلسطين (أرض الميعاد) حيث أمكن لزعمائهم إقناع سواد اليهود بسهولة على وجوب الرحيل، مستندين

على نظريات شتى قائمة على اعتقاد الأمة اليهودية بأن البعث والنشور سيقعان في الأرض المقدسة، فلا يلاقي الذي دفن فيها مشقة للوصول إليها، في حين أن المدفون بعيداً عنها سيضطر إلى حفر نفق في باطن الأرض يوصله إلى أرض الميعاد. ويكون ذلك بعد قيام الساعة، لاعتقادهم أيضاً بأن المسيح سيهبط من السماء في طبريا على قول، وفي صفد على قول آخر، أو في محال أخرى جميعها في فلسطين المقدسة. هذا مع ملاحظة أن اليهود لا يسلمون بمسيح النصرانية بل هم للمسيح الموعودون به منتظرون، ويجب ألا ننسى أن كتبهم المقدسة تحث على الانتظار في أرض الميعاد وتطلب من الله تمهيد السبيل إلى لم شملهم في مملكة داوود.

هذا سبب مهم لاتفاق زعماء اليهود على فلسطين دون غيرها لتكون وطناً قومياً لهم. وأما السبب الآخر فهو حسن معاملة المسلمين لهم خصوصاً وأن اضطهاد محاكم التفتيش الذي كان موجهاً إليهم وإلى المسلمين معاً، نتج عنه انسحاب الشعبين خارج أرض الأندلس فتمكن اليهود من التنقل في بلاد المسلمين إلى حيث شاءوا فاستقر بعضهم في أرض (مؤاب) المآب[١]، وقاموا بشعائرهم دون خطر، وكذلك وقعت بعد ذلك خلال القرن التاسع عشر مذابح في ؟؟؟ فلم يكن لأولئك المساكين من مفر إلا الالتجاء إلى اقرب بلد أمين. فتخطوا الحدود إلى الأراضي العثمانية، ومن هناك قصدوا أرضهم المقدسة للإقامة بها فكانت

[١] نسبة لابن لوط الذي جاءت به أمه من أبيها بعد أن أنكرته و؟؟؟ (تكوين ١٩-٣٧ وعدد ٢٢-٢)

هذه أول هجرة منظمة، وبدأت عام ١٨٨١.

مما سبق يتضح لكل منصف أن للصدفة دخلاً كبيراً في استقرار رأي اليهود على اتخاذ فلسطين دون غيرها من ؟؟؟ ينشئون فيه وحدتهم السياسية الاجتماعية. كما أن للتعاليم الدينية تأثيراً مماثلاً في هذا الاختيار.

وأنشئت الجمعيات لإيواء أولئك المتمردين، فكانت أول مستعمرة منظمة هي ريشون لصيون للمهاجرين الروس وكانت أولاً عبارة عن ٧٥٠ فدان يملكها ؟؟؟ سكان فصارت ٣٥٠٠ فداناً يسكنها ٣٠٠٠ نفس وألف يهود رومانيا بعد ذلك وجمعية أخرى أسست مستعمرة ؟؟؟ وتابعت الجمعيات المختلفة بعد ذلك تأسيس المستعمرات؟؟؟

أن تربطها رابطة إلى أن ظهر للمثرين من اليهود نجاح المشروع فوحدت الجهود وأنشئوا مع مفكريهم وحكمائهم جمعية مركزية للإشراف على حركة الاستيطان في فلسطين واسم هذه الجمعية الاستعمار اليهودية.

ولفظة الصهيونية مشتقة من جبل صهيون القائمة على صفحة مدينة القدس ولفكرة الصهيونية رجال يجب أن لا نغفل عن ذكر "هرتزل" منهم وهو العالم اليهودي الألماني الذي تفرغ للدعوة إلى الحركة المذكورة وأبلغ رسالته في كتابه "الحكومة اليهودية" وهو إنجيل الصهيونيين إلى الوقت الحاضر، وللصهيونية نظام اجتماعي.

ويعرفه البعض بأنه نظام اشتراكي واعتقد أن تعريبي أوفى، ولو أنه

أكثر إبهاماً من التعريب الأخير. وهو يرمي إلى التجديد ومتابعة النظريات العصرية والعمل على تكوين مدينة يهودية قحة جديدة وإحياء اللغة العبرية وخلق (وهذه اللفظة خير من قولنا وأحياء) ثقافة يهودية جديدة. وكان قد سبق هرتزل يهودي آخر عمل لترويج الفكرة بوجوب اندماج اليهود في العناصر التي يعيشون بينها، فاليهودي المقيم في بريطانيا يجب أن يكون بريطانياً والذي في فرنسا فرنسياً. ؟؟؟ فسفهت تعاليم الرسول الجديد آراء مندلسوهن صاحب نظرية العناصر، وهكذا لم يعد لمندلسوهن أنصار يعتد بهم في الوقت الحاضر.

والآن أريد أن أدلي إليك بشيء عن نشاط الصهيونية الاقتصادي. تبلغ مساحة فلسطين الواقعة غربي الأردن حوالي ٤ مليون ونصف فدان منها ١ وربع مليون فقط (٢٨ في المائة) منزرعة و١ مليون وثلاثة أرباع (٤٠ في المائة) صحاري وجبال لا تصلح للزراعة وأما الباقي فأغلبه قابل للاستثمار وأغلب ما يمتلكه الزراع العرب يخصص لزراعة الحبوب والباقي للأشجار بينما يزرعون الخضروات قريباً من المدن العامرة أما الأراضي التي يمتلكها الأوربيون مثل الألمان الهيكليين والرهبانيات المسيحية المختلفة، فإنها تقوم بعمليات زراعية مختلفة. وإليك جدول يبين حالة اليهود في فلسطين قبل الحرب وبعدها.

وأنك لو قارنت ثمن الأراضي المجاورة لمستعمرات اليهودية بغيرها من الأثمان يتضح لك مبلغ النشاط الذي ظهر كنتيجة للاستعمار. ففي رحوبوت مثلاً كان ثمن الفدان يبلغ ٤٠ فرنكاً عام ١٨٨٨ فأصبح الثمن

يتفاوت الآن بين ٨٠٠ و١٠٠٠ فرنك وأما في ريشون فكان ثمن الفدان عام ١٢٨٨ يبلغ ٥٢ فرنكاً فأصبح يساوي بين ١٢٠٠ و١٥٠٠ فرنك وهكذا.

وإليك بيان بأراضي البناء والزراعة التي تمتلكها أقوى شركة استثمار يهودية في فلسطين وهي شركة إحياء أراضي فلسطين.

	يهود فلسطين	النسبة في المائة	يملكون فداناً	عدد المستعمرات	عدد الصناعات	الأموال المستثمرة جنيه
قبل الحرب العالمية	٦٥٠٠٠	١١	١١٠٠٠٠	٥٠	؟	؟
عام ١٩٢٦	١٨٠٠٠٠	١٧	٣٠٠٠٠٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠

عام	فدان مشتراه	ثمنها جنيه مصري	مدن، حدائق متر مربع	ثمنها جنيه مري
١٩١٠	٤٩١٥	٣١٤٠٦	–	–
١٩١١	١٤٠٥	٢٣١٥	–	–
١٩١٢	٢٥٣٣	١٢٥١٧	–	–
١٩١٣	٤٣٠٠	٣٦٦١٧	–	–
١٩١٤	١٢٥١	٧٠٦٩	–	–
١٩١٧	–	–	٥٣٠٣٧٢	١٩٠٤٢
١٩١٨	–	–	٢٤٢٩٨٣٦	٥٢٧٢٣
١٩١٩	–	–	–	–
١٩٢٠	–	–	–	–
١٩٢١	٢٠٧٩١	٣٦٦٣٧٢	١٩٥٩٧٢٦	٣٠٧٩٠

١٩٢٢	٣٨٥١	٧٦٠٥٧	٢٩٠٣٢٥٢	٤٩٧٠٩
١٩٢٣	٧٩٦	٧٥٨٢	٧٦٣٥	٨٠٠
١٩٢٤	٢٥٢٣٠	٣٠٢٧٠٠	–	–
١٩٢٥	٢٦٢٧٩	٢٩٩٦٧٢	١٣٨٥٦٧٧	٣٢٠٣٣
١٩٢٦	٣٥٣٨	٣٦٤٦١	–	–

	مدن متر مربع	ثمنا جنيه مصري
١٩١٠	٢٤١٠٣	٣٤٩٦
١٩١١	٣٦٤٩١	٤٤١٢
١٩١٢	٤١٩٥٠٦	١٩٩٠٠
١٩١٣	١٦٣٨٧١	١٢٥٠٨
١٩١٤	٥١٤٦٤	٣٠٨٦
١٩١٧	–	–
١٩١٨	١٠٦٥١١	١٨٢٩٥
١٩١٩	١٠٥٩٠	٤٦٤٧
١٩٢٠	٣١٠١٦	٩٠٨٦
١٩٢١	٥٦٢٥٨	٨٩٨٩
١٩٢٢	٤٦٣٣٠٣	٧٦٤٢١
١٩٢٣	٤٢٤٩	٢٦٤
١٩٢٤	–	–
١٩٢٥	٢٦٦١٢٧	٢٩٢٦٧
١٩٢٦	١٠٤٤٥٣	٦٩٧١

وإذا سألت عن نظام المستعمرة الصهيونية فأعلم أنك تجده نموذجاً راقياً للحياة. فلكل عائلة منزل صحي مضاء بالكهرباء. مجلوب إليه الماء. تختلف سعته باختلاف الثروة ولكن لا ينعدم التجانس كلياً بينه

وبين سواه كما هو الحال في الأمكنة الأخرى. فإنك ترى مثلاً بيتاً يحوي أربع حجرات عبارة عن طابق واحد تحيط به حديقة صغيرة قائماً بجوار قصر لمثر يتكون من طابقين لا تزيد عدد غرفه عن العشر تلتف من حوله حديقة متوسطة السعة لا يزيد الاعتناء بها عما تناله حديقة المنزل الآخر. وكل الابنية نظيفة يتفاوت أثاثها من حيث القيمة لا من حيث الاستعداد، ويخصص أصحاب المهن إحدى الغرف بمنازلهم لمزاولة مهنهم فيها وأنك لتجد اسم صاحب ورشة التجارة مكتوباً على باب منزله. فإذا ألقيت نظرة إلى الداخلي تراه منهمكاً في عمله بهدوء ونشاط. وأما الفلاح فيحتفظ بغرفة يؤوي فيها ماشيته ويحفظ فيها آلاته. فإذا ما سرت في الطريق مبكراً في الصباح تجد الخلائق يخرجون أزواجاً وجماعات إلى الحقول وهم يقودون مواشيهم معهم وخلفها أو على ظهورها الالآت الزراعية الحديثة وترى الرجال والنساء —وهنا يجب أن أقول الشبان والشابات، لأنك قلما تعثر في طريقك على كهول وذلك ناتج من تقييد المهاجرة بعدد مخصوص. ولذلك يفد إلى فلسطين صغار السن أقوياء البنية من اليهود فقط– لابسين ملابس العمل بيضاء نظيفة متوجهين إلى مزارعهم. وأما الأطفال فيركضون إلى معاهد العلم لأن التعليم من الواجبات لديهم، حتى أنك لا تجد بينهم يهودياً غير ملم بالقراءة والكتابة فإذا ما قاربت الشمس من المغيب استبدل الكل ثياب العمل ليقصد بعضهم إلى النوادي والبعض إلى المدار الليلية والبعض قاعة المحاضرات. وبعد الغروب يستنشقون النسيم العليل في المتنزهات. ثم يستسلمون بعد العشاء لسلطان النعاس.

وحقيقة أنك لا تتمالك من الشعور بالسرور وبالراحة وأنت تقضي وقتك في هذا الوسط الراقي خصوصاً متى علمت أنهم يفضون منازعاتهم دون التجاء إلى الحكومة قدر الإمكان ولهم نظام خاص بهم لنقل البريد.

وهنا يجب أن أذكر شيئاً عن نتائج المهاجرة اليهودية إلى فلسطين، وما تسببت عنه من شقاق بين "العرب" و"اليهود".

ذهبت محاولات اليهود لأخذ موافقة الدولة العثمانية على فكرة الوطن القومي هباء، وذلك قبل وقوع الحرب العظمى، فلما توغلت أوروبا في الحرب وأصبحت في حاجة إلى المال لمداومتها، أظهر كبار الماليين من اليهود سبائكهم الصفراء لدول الوسط. مشترطين الاعتراف بالوطن القومي فسعت ألمانيا والنمسا وبلغاريا جهدا لإقناع تركيا للاعتراف بذلك، فأبت خوفاً من انتفاض العالم الإسلام عليها. ولما خاب أمل اليهود وجهوا جهدهم صوب المؤتلفين ففازوا بعهد "بلفور" وهكذا كان من أهم أسباب انكسار دول الوسط إمساك اليهود عند إمدادهم بالمال. أليس من الغريب أن ألمانيا عقدت عدة قروض داخلية في ابتداء الحرب فكان كل منها يغطي عشر مرات أو أكثر في مدة يسيرة ولم تكن قد ثبتت أقدامها وظهرت بمظهر القوي القادر بعد؟ ثم انقلب الحال بعد ذلك فأصبحت تفرض الاكتتاب فرضاً حين كانت جيوشها قد اكتسحت روسيا وغزت بلجيكا ومنطقة غير صغيرة في فرنسا وردت إيطاليا إلى ما بعد حدودها.

فلما وضعت الحرب أوزارها وقبض البريطانيون على دفة الحكم في فلسطين. ندموا على الوعد الذي قطعوه فأشعلوا في العرب روح العداء

للصهيونية فهب أولئك متحمسين لدفع غارة المهاجرين وحدث بين الطرفين ما يؤسف له. وكان للعرب دافع على ذلك، فإن نشاط اليهود كان على أشده، فبذلوا الجهد لتوريد أقصى ما يمكن توريده من المهاجرين ومن المال وتفننوا في شراء العقارات ببخس الثمن فضربوا التجارة المحلية ضربة قاضية إذ باعوا بأسعار مخفضة جداً ما كانوا يشترونه من السوق المحلي بأثمان عالية وهكذا استحلوا ما ملكه الغير بطرق شيطانية.

وحاولوا أيضاً السيطرة على المصالح ثم عملوا على استبدال العرب باليهود حى لا يتركوا عاطليهم عالة عليهم مدة طويلة إلى أن ينظموا شؤونهم، فعملت انجلترا سراً جنباً إلى جنب مع العرب لدرء هذا الوباء. وقد تحرجت الحال لدرجة أن كانت تستورد الأسلحة من الخارج سراً لليهود الذين كانوا يحفرون الخنادق حول خيامهم ويعززونها بالمتاريس لعلمهم بأن السلاح كان يوزع على العرب بلا ثمن وبكثرة.

وتدارك الأمر العقلاء فاقل اليهود من غلوائهم وحدث أن خففت العقبات التي صادفوها من اندفاعهم، فعندما شعر العرب بتحسن الحال عادوا إلى استكانتهم: وأما بريطانيا فقد غطت الميدان بحفنة من رماد. والاستقرار يلازم الحالة الآن لولا ما يقع بين وقت وآخر من الاحتكاك، واغلبه غير مقصود، ولكن حاول بعض أناس من المغرضين في بعض الأوقات تحريك النار الهادئة لإشعالها قصد جر المغنم لأنفسهم.

وهنا يجب أن أتساءل "هل سيفلح اليهود في "صهينة" فلسطين – وربما الشرق العربي كله– أم سيطردهم العرب من فلسطين؟"

أما أنا فاعتقد أننا سنكون تلامذة اليهود كما تتلمذنا لهم سابقًا وقد بنيت حكمي هذا على أنهم أغنياء متعلمون نشطون ونحن فقراء جهلة متواكلون هذا، مع وجوب ملاحظة أننا فرعًا أرومة واحدة وتكاد عقليتنا تكون متماثلة، فليس من الصعب علينا الاقتداء بهم في كل ما سيفعلونه.

النصرانية

بدأت كفرقة يهودية فاضطهد اليهود دعاتها لاختلاف في الدعوة التي رموا إلى نشرها عما كان مألوفاً. فرحل البعض من المضطهدين إلى الإسكندرية حيث احتكوا بمدرستها التاريخية الشهيرة فاخذوا عنها. وقد رحل بعضهم إلى روما وهناك ثبتت جذورها في عاصمة الإمبراطورية العظيمة جنبًا لجنب مع المثرائية. فأصبح من المتعذر التفريق بين تعاليمهما حتى ادعى بعض المشتغلين بالموضوع أن كلاهما واحد مع فرق هو ميل المسيحية إلى التعاليم اليهودية لدرجة أكثر.

وكانت النصرانية في بادئ الأمر دين توحيد تمتاز عن غيرها بالمركز الممتاز الذي وضعت مؤسسها فيه. وكانت تدعو إلى الزهد في الدنيا والتطلع للآخرة وكان دخولها ممكن لليهود فقط. ولكن لم يلبث بولس الرسول طويلاً حتى دعى غيرهم Gentiles لولوج بابها بنفس الحقوق التي لليهود ومما أخذته من مصر فكرة الثالوت وبذلك خرجت –على رأي أو يكن وغيره– عن أن تكون موحدة. ويقوم الخلاف الذي يدور بين طوائفها المختلفة، لدرجة كبيرة، حول الشخصية الممتازة التي يهتم بها بعضهم. فمنهم من ينفي الوهية المسيح. ومنهم من يناقش الموضوع على أساس طبيعة واحدة بمشيئتين وهلم جرا وكذلك اختلفوا في تفهم علاقة الابن بالإله.

ولكن جميع الفرق تتفق على كون المسيح أتى لأجل خلاص العالم وتطهيره من الأرجاس التي اقترفت فيه، ذلك بالزعم من أنهم لم يتفقوا على كيفية الخلاص من قائل بأنه خلصنا بإفدائه لنفسه ومنهم من يقول بل هو قد اشترانا من الأب. وغيرهم يعزون أخذ ثمن خلاصنا إلى الشيطان.

ولأجل أن يكون الإنسان مسيحيًا يتحتم عليه العمل بأوامر الشرع الخاصة بالأسرار الدينية وهي سبعة. ويقال أنها نشأت من القسم الذي كان يحلفه الجندي الروماني قبل انخراطه في سلك الجيش ولذلك أصبح من اللازم على من يلتحق بالكنيسة تأدية ما تطلبه منه هذه الاسرار. والكل بوجه عام متفقون على وجوب أداء ركنين منها هما المعمودية والتناول. ولو أن طائفة الكويكرز هي الوحيدة على ما أعلم

التي لا تهتم بالمعمودية. ويتم التعميد إما برش الماء على الجبهة أو بغمس جزء عظم من الجسد فيه ولهذه المعمودية تاريخ بين الأمم والأديان السابقة للمسيحية. فمثلاً كان اليهود يتعمدون حتى أن يوحنا المعمدان قام بهذه العملية بمياه نهر الأردن وعمد فيمن عمد المسيح نفسه وفي متى ٢٨ - ١٩ أمر بتعميد لخلق كافة.

وبعض طوائفهم لا تعمد الشخص في دور طفولته بل في فراش الموت –هكذا عمد قسطنطين حامي المسيحية– وذلك

خوف ارتكاب الإنسان لأثم يقتضي حرمانه من الكنيسة. وطائفة المعمدانيين تجبر التعميد بواسطة الغمس ومن الطوائف من تكل هذه العملية بالكاهن ومنها من تكلها لأي مسيحي ومنها من تسمح بإجرائها على يد أي شخص بصرف النظر عن اعتقاده.

أما التناول فلازم لدى الجميع وهي عادة أخذت عن الأديان السابقة للمسيحية، ويرمز بها المسيحيون إلى عشاء الرب الأخير مع تلاميذه إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ وقد تطورت الفكرة القائمة على هذه العملية فصار الخبز يرمز إلى جسد المخلص والنبيذ إلى دمه الذين ضحى وأهرق لأجل خلاص العالم. وأما الأسرار الخمسة الأخرى فيراها الانجليكان ثاثونيه فلا يعلقون عليها أهمية كبيرة وغيرهم لا يرى فيها سراً دينيًا وذلك لعدم ذكرها في الكتب الدينية الرئيسية. وأما الطائفة الكاثوليكية على وجه خاص فتهتم بسبعتها أي اهتمام.

ومن الممكن تقسيم الكنيسة المسيحية إلى عدة أقسام على أسس مختلفة. فمثلاً بعضها حر لا يتصل بحكومة –وأغلبها من الكنائس المحتجة (البروتستانتية)– وقام أغلب هذه الكنائس على فكرة نشر آراء دينيه روحية مخصوصة مثل جماعة المفترقين Separatistsوجماعة المنشقين Methodists وجماعة الأصدقاء Friendsوكان مرمى كل فرقة الرجوع بالمسيحية إلى عهدها الفطري بعد تنقيتها من الشوائب الوثنية التي علقت بها. فإذن نتج

الانشقاق لسبب واحد تقريبًا هو الإصلاح لا أكثر. وهناك تقسيم ثاني أساسه كيفية إدارة الكنيسة فهناك كنائس.

١- اكليريكية Episcopal إقامة الشعائر فيها من حق طبقة الأكليروس (القسس) فقط. ويشترط فيهم شروط مخصوصة.

وحاملة على هذا التقسيم الطائفة الكاثوليكية

٢- مشيخية Presnyterian والسلطة العليا فيها مركزة في أيدي شيوخها أو كبارها ففيها يتصدر المتقدمون.

٣- ديمقراطية Congregational وهي مستقلة ذاتياً ويتعاون فيها أعضاءها على القيادة والوعظ.

وأما أهم تقسيم فهو الذي يقسم المسيحيين إلى كاثوليك ومحتجين.

وروح الكثلكة روما. ورئيسها الأعلى الروحي هو البابا، ونظامها اكليريكي. وفيها يتقسم القسس إلى ثلاث طبقات، وضيعة ومتوسطة وعالية. وللكنيسة كلمة الفصل فيما يدور حوله الأخذ والرد وذلك بواسطة عقد مجمع من كبار القساوسة لإصدار إرادات بابوية. وقد ثار الخلاف بين أتباع هذه الكنيسة كنتيجة لعدم الموافقة على بعض الإرادات. فنشأت طائفة الأرثوذكس (الكنيسة الشرقية) للتفريق بينها وبين الكنيسة الغربية. ويطلق على

أتباعها الروم في حين يطلق على أتباع الأخرى (اللاتين) والكنيسة الأرثوذكسية محافظة أكثر من أختها الكاثوليكية لم تدركها يد التطور كما أدركت أختها. ولا يعترف الأرثوذكس بالإرادات التي أصدرها مجمع ترنت سنة **١٥٦٥** ومجمع الفاتيكان سنة **١٨٧٠** الذين قررا عصمة البابا وهم لا يعترفون برئاسته. ولكن هناك تشابه عظيم بين طقوسهم وطقوس الكاثوليك وكذلك بين عبادتهم، وليست لهم كنيسة واحدة بل لهم أربعة بطاركة مراكزهم القدس والإسكندرية وأنطاكية والأستانة وهم يسمحون لقسسهم بالزواج مرة واحدة. فإذا ماتت الزوجة لا يصح للقس منهم الزواج بغيرها. وأما الدرجات العليا فينحصر الترشيح لها في الرهبان المنزوين في الأديرة وهم لا يتزوجون أبداً.

ومن ظواهر الأرثوذكسية أن كل بطركية يتبعها عدة كنائس طائفية وطنية شبه مستقلة تعبد بلغتها ولها طقوس خاصة. وكان انشطار الأقباط الأرثوذكس عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن الخامس للميلاد.

وأما أسباب الانشقاقات التي أدت إلى هذه التشعبات فعديدة جدير بالذكر منها.

١- أنكاراريوس للاهوت المسيح وقوله أنه مخلوق ليس مولود من الأب ولذلك لا يساويه في الجوهر.

٢- قول نسطوران للابن اقنومين وأحد الهي، والأخر بشرى فهو بالأول ابن الله وبالثاني ابن مريم.

٣- قول اليعاقبة باقنوم واحد للمسيح وطبيعة واحدة كلاهما الهي ذلك بعكس التعاليم الكاثوليكية القائلة بالطبيعتين والمشيئتين.

٤- القول بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد وهما الهيان مع الاعتراف بالطبيعتين. وقد أثبت مجمع ٦٨١ وجود طبيعتين ومشيئتين للمسيح. فالكاثوليك يقوقولن أن الابن اله واحد كالأب الذي ولد منه وهو مساو له في الجوهر.وسائر الكمالات. صار إنسانًا كاملا في أحشاء أمه البتول. واتخذ الطبيعة البشرية كاملة دون أن ينتقص طبيعته الإلهية، وتقوم الطبيعتان في ذات الوقت في اقنوم الهي واحد.

ولكل طبيعة مشيئتها وأفعالها الخاصة بها. وأما الأرثوذكس فيرفضون فكرة انبثاق روح القدس من الابن كما انبثق من الأب. وهنا يلزم شرح معنى التثليث الذي لا ينافي في معتقدهم التوحيد. توحيد الإله في جوهره، وحدوث العالم بقدرته المتفردة. فالأب كالشمس والابن نورها الذي يسطع على وجه الأرض. وأما روح القدس فالشعاع الذي يصل ما بين النور ومصدرها. ورأس هذا الثالوث هو الله الأب بطريق العقل. والابن هو كلمته التي أرسلها. وهو أيضًا ضياء مجد الأب وصورة جوهرة. وأما روح القدس فهو الحب الجوهري المتبادل بين الأب والابن وقد تجسد الابن -كلمة الإله الأب- في أحشاء العذراء نازلا من السماء ليفدي بحياته الجنس المدنس بالخطيئة.

وقد رجع منذ قريب أفراد من الطوائف لمنشقة إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية فتركت لهم استقال كنيستهم وطقوسهم ولغتهم وقوانينهم.

ولذلك صار في مصر أقباط أرثوذكس وهم المنشقون. ولهم بطرك وأقباط كاثوليك وهم الذين رجعوا إلى حظيرة كنيسة روما. وكذلك هناك طائفتان من الأرمن والسريان.

(٢) وأما المحتجون –البروتستانت– فقامت قومتهم على أساس الدعاية إلى وجوب التقيد بما تحويه الكتب المقدسة الرئيسية فقط من الأحكام ويرجع وقت قيامهم إلى العام الذي رفضوا فيه الرضوخ للإرادة البابوية ١٥٢٩ وبمرور الزمن تغاضى المحتجون عن حرفية الكتب وعن التقاليد واهتموا بتأكيد الوجهة الأخلاقية من المسيحية فحسب لان الذين ليس فرائض بلا أخلاق. وفي الكاثوليك طائفة المجددين وهي مشابهة لدرجة ما بالمحتجين ولكنها أقل منهم اندفاعا في خروجها عن الكثلكة والإرادات البابوية.

أما تاريخ الكنيسة الداخلي فيصح تقسيمه إلى أدوار أربعة.

(١) كانت المسيحية طائفة يهودية تعمل للآخرة. وفيها استعداد لقبول ما يمكنها هضمه من تعاليم الأمم الأخرى.

(٢) قطعت مرحلتها الثانية مجدة في تنسيق المعتقدات وإنشاء نظام ديني خاص بها وتم تذلك بعقد مجتمعات مثلا سنة ٣٢٥، سنة ٤٦١ وفي هذه المرحلة كان اعتمادها على الآراء اليهودية. ولم تخرج أبحاثها عن المناقشة في خوارق ما صنعه المسيح وعن ماهيته وعن ذاته.

(٣) أخذت تتنازعها فكرتان المركزية أي وضع كل السلطة في يد البابا واللامركزية أي توزيع السلطات على البطراكيات.

(٤) إنشاء طوائف انضم إليها رجال الدين عامة للتنازع على السلطة.

أما تاريخها الخارجي فينقسم إلى ست مراحل

(١) قضت الأجيال الثلاثة الأولى في دفاعها عن نفسها ضد الحكومة والدين الرسمي.

(٢) ولما جعلها قسطنطين دين الدولة الرومانية الرسمي بلغت ذروتها فأخذت في اضطهاد مخالفيها وبلغ بها الحال أن أخذت تعمد ألوف الناس قسرًا وذلك دفعة واحدة.

(٣) غاصت لآذانها في السياسة وقل اهتمامها بالدين وكان ذلك في عصر أوروبا المظلم. وفيه بسطت نفوذها فازداد دخول الناس في سلك الأكليروس ونتج عنه التفريق بين رهبان الأديرة المنصرفين إلى الصلوات وهم أقلية، والقسس الذين كانوا يشتغلون بالسياسة والأعمال الاجتماعية الأخرى.

(٤) حاربت العلم وقت انبثاق فجر العرفان. ونتج عن هذه الحرب دعوة الثورة الفرنسية إلى طرح النظم الدينية جانبًا حتى أصبحت الأديان تنعت بنظام العهد القديم.

(٥) أصبحت الكنيسة طول القرن التاسع عشر الميلادي عرضة

للهجوم العنيف. حتى أن تعاليمها أصبحت موضع هزء وسخرية فأسموها قصص العجائز. وبالطبع نتج عن هجمة الإلحاد الصادقة، هذه رد فعل تكونت في حماه للتقى مثل جيش الخلاص وجماعة العلم المسيحي.

(٦) وبانبثاق القرن العشرين أصبحت التعاليم الدينية أثرا بعد عين وقل الاهتمام ببحثها.

وللكنيسة الأرثوذكسية خاصية طريفة هي أنها لم تتحرك للأمام قيد شعرة وبقيت على ما كنت عليه في القرن السادس.

وكانت أنشط الكنائس النسطورية فيما بين النهرين وهذه قضى عليها الإسلام وأخذ منها ما نقلته عن فلاسفة اليونان.

فالكاثوليكية رابضة في أكثر أنحاء أوروبا وفي أمريكا الجنوبية. ولم تفتح من الشرق إلا بضع جهات فقط، أما البروتستانتية فسادت أمريكا الشمالية وجزء غير يسير من أوربا واستراليا وأما أفريقيا وآسيا فلا تزالان حصينتين ضد الغارة التي تشنها عليهما المسيحية بين آن وآخر.

كتب العهد القديم

تتكون من :

١- الأناجيل الأربعة متى. مرقص. لوقا. يوحنا

٢- أعمال الرسل.

٣- الرسائل

١- رسائل بولس إلى سكان شواطئ البحر المتوس.

٢- رسائل بولس (؟) إلى اليهود

٣- رسائل يعقوب

٤- رسائل بطرس

٥- رسائل يهوذا

٤-رؤيا يوحنا اللاهوتي

ولا تخرج مادة الأناجيل الأربعة عن أن تكون تاريخا الحياة المسيح ويستنتج منها المشتغلون بالنقد العالي ما كانت عليه فطرة المسيحيين الأول كذلك ما كانوا يعتقدونه وما وصلت غليه أدبياتهم في ذلك العصر وهم يرتبون الأناجيل الأربعة حسب تواريخ كتابتها هكذا مرقس: متى لوقا وأخيرا يوحنا.

إنجيل مرقس: كتب بعد ٧٠ سنة من وفاة المسيح جمع من الرواة الذين اتصلوا به أو من الذين اتصلوا بمن عاصروه مادته قليلة يبدأ بقصة يوحنا المعمدان. ثم يتكلم عن تجولات المسيح وتاريخ الأيام الأخيرة.

إنجيل متى: كتب في أواخر القرن الأول بعد. يعد قطعة أدبية فنية قيمة فيه مادة تزيد عن سابقه إذ يحوي أقوال المسيح منسقة وفيه أيضًا شجرة نسب المسيح وبعض ما يحويه العهد القديم (التوراة وغيرها)

إنجيل لوقا: كتب في أوائل القرن الثاني أكثر من نصف مادته جديد لا يوجد مثله في الأناجيل الأخرى.اعتمد كاتبه على كتابات سابقة منها إنجيل مرقس.

إنجيل يوحنا: هو البذرة الفلسفية للمسيحية كتب جزء منه في أوائل القرن الثاني ولكنه لم يتم إلا في فترات متأخرة فيه مادة تخالف بعض ما جاء في الأناجيل الأخرى.

أعمال الرسل: هي شذارات تحوي مجهود الرسل وخصوصًا في التبشير.

الرسائل: عبارة عن منشورات وعظات أدلى بها حواريو المسيح لمختلف الأمم داعين إياهم للمسيحية وتعد هذه الرسائل أساس علم اللاهوت المسيحي.

رؤيا يوحنا المعدان: عبارة عن عظات وتنبؤات

الإسلام

"للمجتهد حسنتان أن أصاب وواحدة إن أخطأت"

الإسلام دين الفطرة وأشد الأديان شبها به اليهودية يقول بعض علماء مقارنة الأديان أنه أعرق منها في التوحيد إذ لم تشب تاريخه من مبدئه شائبة الإشراك. له خاصية واحدة يمتاز بها عن غيره من الأديان، هي عدم اعترافه بطبقة كهنة تقوم بشعائره. فعلاقة الفرد متصلة فيه بخالقه دون وسيط فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

ولكن شوائب الأوساط التي انتشرت بينها كادت تزيل من هذه الخاصية. إذ نشأ فيه على مرور الزمن نظام شبه كهنوتي أحل لنفسه استلاب حق الدينونة من الديان فتاريخ الإسلام يكاد يقارب تاريخ المسيحية من حيث كمية ما يحويه من تكفير العلماء لمن خالفهم في الرأي. واضطهادهم للذين لا يرتأون الآراء التي ورثوها خلفا عن سلف حتى بلغ بهم الحال أن لقبوا أنفسهم حماة الدين.

وكذلك تسربت إلى تقاليده بعض عادات وثنية مثل والترغ في حلقات الذكر وهو تقليد للرقص الديني والتبرك بقبور الأولياء والتضرع إليهم لقضاء الحاجات. وهذا مأخوذ من عبادة الإلهة المحلية في الزمن القديم. والذين يسترزقون بالدين ويتخذون الدعوة إليه مهنة لهم، هم الروح المحركة لانتشار هذه البدع. ولكي لا يقطع عنهم المورد الذي

يرتزقون منه، يروجون أمثال هذه الضلالات ويعملون على ترسيخها في أذهن العامة ويكبرون ذواتهم بكل ما يخطر ببالهم من الوسائل التي تخضع لهم الناس فيمدون أيديهم إلى الجهلة لتقبيلها والتبرك بها ويدسون أنوفهم في كل شيء حتى ما كان شخصيًا باسم الدين . وكأن تفهم الدين قد أصبح وقفًا عليهم دون سائر الأمة.

ولسوء الحظ يحجمون عن متابعة الحضارة ليس بعد بحث حسناتها وسيئاتها. بل لعدم قدرتهم على تفهمها الأمر الذي يحتاج إلى إعمال العقل. وهم أهل نقل. حظهم من المعرفة قليل. وبفضل نفوذهم لم يساير الإسلام روح التحول الذي يبدو في كل شيء. وأصبحنا لسوء الحظ نعيش كأننا في زمن سابق لزمننا بعدة أجيال. هذا بيان مصغر لمبلغ الضرر الذي أصيب به دين يدعو لي "تغير الأحكام بتغير الأزمان والى "طلب العلم ولو في الصين" ويدعو إلى "وأمركم شورى بينكم" ويحث رسوله "وشاورهم في الأمر".

ولظروف مخصوصة سيأتي الكلام عنها بعد، وذلك عندما اشتد هجوم المجوسية على الإسلام، وارتأى بعض مفكري ذلك الوقت ورأيهم حق وجوب إقفال باب الاجتهاد مؤقتا منعا تتسرب التعاليم الدخيلة وسط تعاليم الإسلام. فبدون تقدير الظروف واعتمادا على تلك الفتوى. اشتغل جماعة اليوم بالماضي عن الحاضر. وبذلوا الجهد لمنع الناس إلا كثر ذكاء منهم واستعدادًا لتفهم إرادة الله من تفهم الدين في وقت أصبح فيه العلم غير علم القرون الغابرة.

أتى بالإسلام إلى الأمم كافة محمد النبي العربي الهاشمي مبشرا ونذيرا ولم يدع رحمه الله، وكذلك لم يذكر في التنزيل، أنه كان شيئًا غير إنسان "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل: إنما أنا بشر مثلكم ...فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الأمن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب إلا كبر" ولذلك حفظت سيرة صاحب الرسالة من شوائب الأساطير رغم المحاولات التي أريد بها الخروج بدين التوحيد مما أنزله به الله. وقد انصرف المجهود إلى تأليف الأساطير حول شخصيات بارزة وغير بارزة أشهرها سيرة على بن أبي طالب.

وقد نشأ الإسلام في وسط بدوي بعيد عن الثقافة والمنية. ولذلك كانت أحكامه أقرب إلى البساطة ليسيغها أصحاب القلوب الفطرية. وهكذا عاش النبي الأمي وصحبه حياة تواضع بعيدة عن زهو المدنية. وبعد وفاته استن أتباعه سنته. وأمروا بما أمر به الله ونهوا عما نهاهم عنه. فكانت الخلافات تثور في بادئ الأمر حول نقط رغبة في تفهمها مثل مسائل الإرث. ومثل التساؤل عما إذا كان النبي قد مات كبقية الناس أو رفع إلى السماء كما رفع قبله المسيح. وذلك لمبلغ إجلالهم له. وكانت هذه الاختلافات تحل سريعًا حلا حاسمًا.

ولكن انتقلت عاصمة المسلمين بعد ذلك إلى وسط الثقافة اليونانية. ثم انتقلت قريبًا من الثقافة الفارسية فنفض العرب عنهم بداوتهم ولم يبدلوها بغيرها بل انغمسوا لأذانهم في الترب. وهكذا كتبوا آخر سطر من تاريخهم المجيد الذي يتخلص في تقديمهم للإسلام اذرعا قوية،

وقلوبا مؤمنة لا أكثر. وأما المدنية الإسلامية الفخمة فقد شيدت على كتاف الأعاجم وخصوصًا الفرس منهم كأبي حنيفة وابن سينا والبخاري والفيروزبادي والمتنبي والمعري وابن رشد وقلما تجد بين هؤلاء الأعلام وغيرهم اسما عربيًا. فنور الإسلام الساطع أضرمه غير العرب فغزا المغرب والسبب في اندلا ع مدنية أووربا الحالية التي أزهرت ونحن باقين في أحط دركات الجهل لا نفهم من الإسلام الخزعبلات هو برئ منها

أما الفرق الإسلامية فقد أسس أغلبها على أغراض شخصية تدور حول شخص الإمام الذي أحيط بأنواع من السفسطة هي نتيجة لعدم تفهم موجدي هذه الفرق لنتاج عقول فلاسفة القديمة فالبسوها ثوبا بشعا مضحكا.

ويجب الرجوع إلى الخلف كي يتيسر لنا تفهم أسباب نشوء هذه الفرق ولذلك وجب تقسيم تاريخ المسلمين إلى مراحل ثلاث

(١) كانت مكة قبل الإسلام مكان الكعبة التي طالما حج إليها أفراد القبائل لأجل عبادة الأوثان. ولمنع حدوث حروب في حماها. اتفق الأعراب كافة على جعلها منطقة حرام من دخلها كان آمنا. وخصوصًا في بضع أشهر معلومات من كل عام. وبطبيعة الحال أصبحت مركزا مهما لتبادل السلع التي كان يتوافد بها رجال القبائل المختلفة لاستبدالها لما يريدونه مما أحضره غيرهم. أضف إلى ما سبق أن مركزها كان في طريق اليمن والشام. فكانت القوافل تحط فيها رحالها فحسدتها بطبيعة الحال المدن الأخرى. وعندما قام النبي فيها بدعوته، اضطهدته قريش فالتجأ

هو وأصحابه إلى يثرب (المدينة) فوجد له فيها أنصارا يتبعوه وآزروه ونتج بالطبع أن حاول المدنيون استغلال الفرصة لصالحهم. فلما قضى لحرمة ربه تنازع المكيون والمدنيون على مكان دفنه. فرام الأولون أخذ الجدث إلى مكة. وقال الآخرون بإبقائه في المدينة واقترح محايدون أن يدفن في بيت المقدس.وانفصم الخلاف بالحديث "الأنبياء يدفنون حيث يموتون" (أوحيت يقبضون) وهكذا انتصر المدنيون. ولكن لم تلبث حتى قامت مشادة أخرى حول الخليفة. فطلب المدنيون أ، يكون منهم خليفة ومن المكيين خليفة مرة منهم ومرة من الآخرين وفعلا تأمروا في سقيفة بني ساعدة على ترشيح أحدهم. فأدركهم أبو بكر وعمر وأفضى لهم الأول بحديث "الإمامة في قريش" وانتهز عمر فرصة مباركة فبايع أبي بكر وهكذا أتمت له البيعة اللهم إلا من جماعة كان أحدها على بن أبي طالب. ويعزو البعض أحجام على عن المبايعة بانشغاله في دفن النبي. ولكن يرى البعض الآخر أن عملية الدفن لم تخصص به دون غيره وأنه لا يعقل أن يقع الخلاف وجدث الرسول لم يواري التراب بعد. فكيف يتسرب الناس من حول بيت النبي إلى سقيفة بني ساعدة للمبايعة. وأيضًا يضيفون بأن عدم مبايعة علي لم تقف عند أبي بكر بل تعدته إلى غيره.

وقبلما مات أبو بكر أوصى بالخلافة لعمر فتوقف البعض عن قبول ذلك وقالوا أنهم لا يبايعون شخصًا فظًا صلفا. فرد عليهم الخليفة المحتضر بأنه لا يجد بينهم من هو أصلح منه لها. فلما دنت وفاة عمر ترك أمر اختيار خليفته لستة أشخاص للإجماع على انتخاب أحدهم وأوصى بإعدام من يخرج على جماعهم منهم ففوضوا أحدهم بانتخابه

فبويع عثمان من خمسة منهم وأما السادس فاحتفظ برأيه لنفسه. ويقول بعض المؤرخين إن الدافع لهم على اختيار عثمان دون غيره معرفتهم بضعف إرادته. فظن كلهم أنه سوف يتحكم فيه ويسيره حسب مشيئته وبالفعل وقعت في عهد الخليفة الثالث مسائل عدها معارضوه عليه. مثل سماحة لبعض طريدي الرسول بالرجوع إلى مقر الخلافة رغم فشل مساعيهم، مع من سبقه. ويقال أيضًا أنه عين واحدًا منهم عاملا له لا لشيء إلا لأنه من ذوي قرباه. وأقطع لمن كانت تصله بهم صلة رحم الاقطاعات، وعينهم في المراكز العالية الأمر الذي استحكم معه العداء، وتفاقم الخلاف. فزادت الدسائس خصوصًا وقد كف العرب عن غزواتهم لدرجة كبيرة. فلم يبقى أمام القادة إلا التحزب ونتج عن ذلك اغتيال الخليفة.

(٢) وهكذا بدأت الحرب الداخلية بينعلي وأتباعه من جهة بينهم وبين

ومخالفيه من جهة أخرى وكان أشد الآخرين مراسمًا معاوية عامل الشام الذي جرد سيفه للأخذ بثأر قريبه عثمان. قدرات الحرب سجالا فتم النصر للأمويين. وكانت دولتهم عربية صرفة فانتقلت الخلافة من الحجاز إلى الشام ولما هدأت الحالة نوعًا.

(٣) بدأ نضال آخر كانت عاقبته أشد وأهول إذ ثار الفرس تحت ستار المطالبة بإرجاع الخلافة إلى بيت علي ومقصدهم الأصلي الاستئثار بالحكم. كيف لا وهم بقايا أمة متمدنة هدت كيانها الاختلافات الداخلية وتسبب الترف في انحطاطهم الأخلاقي فجمعوا شملهم

لأحياء مجدهم الضائع في الوقت الذي كان فيه العرب يتنعمون ويشربون ويجالسون الحظايا فلم يكن في وسعهم صد هجمات الفرس المتتالية. وهكذا أسلم العرب ذواتهم إلى الفرس وسادت الدولة العباسية بفضل عقول وأذرع الفرس وظل نفوذهم يعمل لتقويتها ردحًا غير قصير من الزمن.

وعندما قامت الدولة الشرقية أبدع الفرس أيما إبداع وأنشأوا ما يسمى بحق مدنية الإسلام ولكن التأثير لم يكن حسنًا فقط، بل نشأ معه أيضًا تأثير سيء أذهبت الفرق المجوسية تسعى في صبغ الإسلام بتعاليم مذاهبهم كما هبت جماعات أخرى لدس تعاليم فلاسفة اليونان وعقائد الوثنيين وكانت الفرق تزداد كثرة بازدياد عدد الطالبين بالإمامة فكلما قضى أمام نشأت بقدر عدد أولاده ومن لاذ به من المنفذين فرق تدعو إلى بدع جديدة. وهذا هو السبب في عدم إمكان تنظيم الفرق الإسلامية تنظيمًا علميًا بحسب اعتقاداتهم أو بحسب الأشخاص وسلسلة أنسابهم. فإنك تجد فرعًا لإحدى هذه الفرق ينفي موت أمامه مدعيًا أنه رفع إلى السماء وينتظر رجعته. ومنهم من يسند الإمامة إلى شخص مدعيًا أن من سبقه نص عليه ليخلفه في نفس الوقت نشأت اصطلاحات مثل التناسخ والحلول والتجسد والرجعة مما لم يكن له أصل في الإسلام. وحتى التثليث زج في تعاليم بعض الفرق. وتنحصر الاختلافات:

(١) في الفروع أي المظنونات التي يتوصل إليها بالقياس والاجتهاد، ويخصصون بموضوعها علم الفقه. ولا يسمى السنيون المجاميع

الناتجة عن هذه الاختلافات فرقا بل مذاهبًا. وأهل السنة على سبعة مذاهب. هي الحنفية والحنبلية والشافعية والمالكية والإذراعية والثورية والظاهرية وأشهر هذه المذاهب الأربعة الأولى منها وأما الأخير فلم يبق له أثر الآن.

(٢) في الأصول وهي المعقولات التي يتوصل إليها بالنظر والاستدلال ويخصصون بموضعها علم الكلام فالاختلاف فيها أصلان (١) الاجتهاد و (٢) التضليل. وقد غلا بعض الأصوليين حتى بلغ بهم الحال ادعاء الإلوهية لائمتهم والمواضيع التي اختلف فيها الأصوليون تدور حول:-

١- إثبات أو نفي الأزلية والذات والفعل وبحث ما يجب منها وما يجوز لله وما يستحيل عليه.

٢- تفهم معنى التوحيد.

٣- إثبات أو نفي القضاء والقدر والخير والشر والمقدور والمعلوم والعدل.

٤- إثبات أو نفي التوبة والإيمان والوعد والوعيد والإرجاء والتفكير وتفهم معنى الأسماء والأحكام.

٥- بحث السمع والعقل والرسالة والإمامة وتقبيح النبوة والصلاح والأصلح واللطف والعصمة والإمامة بشروطها وكيفية انتقالها بالنص أو بالإجماع.

الفرق: ولم يتفق الباحثون على طريقة للتقسيم. ولذلك سأذكر لك

بعضًا منها واضعًا أمام اسم الفرقة عدد الأفرع التي يقولون بتفرعها منها:

التقسيم الأول:

(١) القدرية القائلون بقدرة العبد على الخلق والإيجاد دون حاجة إلى خالقه (٢٢ فرع أو ٢٠) ومن هذه فرعان الحائطية والحمارية ليسا فينظر السنين من المسلمين.

(٢) **الصفاتية** (أو المشبهة) الذين يتغالون في إثبات صفات الله تتفرع إلى ١٨ أو ١٩ فرعًا.

(٣) **الخوارج** في الأصل الذين خرجوا على عليَ في واقعة صفين. وهم يقولون لا حكم للرجال فالحكم لله الواحد القهار ثم تشيعوا لأبي بكر وعمر وأبغضوا عليًا وسلالته.

ومنهم اليزيدية القائلين بأن الله سيرسل رسولا من العجم ينزل بكتاب ينسخ فيه الإسلام وهي ٢٧ فرقة

(٤) الشيعة القائلون بالخلافة والإمامة لعلي جليًا وخفيًا معنى ووصاية لا تنفك بعده عن أولاده. ولا يصح تركها للرأي العام. ولا يجوز للنبي إغفال أو إهمال الإمامة. ولا تفويضها لأحد. والأئمة معصومون عن الكبائر والصغائر وتنحصر الخلافات بين أفرعها في :

١- الخلافة محصورة في عليَ.

٢- تعينت بالنص لعلي ثم للحسن والحسين وبعد ذلك بالانتخاب.

٣- الخلافة نصت على عليَ بالوصف لا بالعين والاسم.

٤- الخلافة نصف على الأئمة الاثنى عشر وآخرهم المهدي.

التقسيم الثاني:

(١) القدرية. (٢) الصفاتية (٣) الخوارج (٤) الشيعة وقد سبق ذكرها.

(٥) **المعتزلة:** أصحاب العدل والتوحيد ينفون الصفات والتشبيه ورؤية الله. القرآن مخلوق. العبد خالص فعله. ولا يجوز إسناد الشر والظلم إلى الله. إذا مات المؤمن عن توبة وطاعة استحق الثواب. وإذا لم تعقب الكبيرة توبة يخلد صاحبها في النار تتفرع إلى ٣٠ فرع ويضعها بعضهم تحت القدرية.

(٦) **المرجئة** ترجو ثواب ذوي المعاصي ولو أن المعصية مع الإيمان لا توجب صغره والطاعة مع الكفر لا تجدي نفعًا. يرجئون حكم ذوي الكبائر للآخرة ويتغالون في إثبات الوعد والرجاء، وفي نفي الوعيد والخوف على المؤمن. وهي موزعة على عشرة أفرع ينحصر اختلافها في :

الجمع بين الرجاء والقدر

الجمع بين الإرجاء والجبر

(٧) **البخارية** : يتفقون مع السنيين في القضاء والقدر والوعد والوعيد، ومع المعتزلة في خلق القرآن ونفي الصفات ورؤية الباري تتفرع ٣ أفرع يضعها البعض تحت الجبرية يقولون بخلق القرآن وينفون صفات الباري ورؤيته.

(٨) الجبرية (أو لمجبرة) وهم بعكس القدرية ينفون استطاعة العبد قبل وبعد ووقت الفعل تتفرع إلى ثمانية أفرع.

(٩) الحرورية "الوعيدية" وأصلهم أنهم تسلقوا جبل حروراء لقتال علي ولذلك يضعونهم ضمن الخوارج في بعض التقاسيم يتغالون في إثبات الوعيد والخوف على المؤمنين لإمكان الخلود في النار مع الإيمان. فمقترفوا الكبائر مشركون. وهم يكفرون الخوارج.

التقسيم الثالث:

١- القدرية ٢ - الخوارج ٣- البخارية ٤- المرجئة
٥- الجهمية وقد ذكرت من قبل.

(٦) **الروافض** : وبعضهم يعدها من الشيعة وقد دخلوا فيتعاليمهم اصطلاحات الغيبة والرجعة والبدء والتناسخ والحلول. والنسبية يعتقد بعضهم بنبوة علي والبعض منهم يؤلهه ويكفرها السنيون ويقال إنها بدأت باسم السبائبة إذ خاطب مؤسسها ابن سبأ علي بن أبي طالب بقوله أنت

آله فنفاه وأحرق بعضا من أتباعه. ومنها الكاملية الذين يكفرون الصحابة لامتناعهم عن مبايعة علي ويكفرون علي لأنه لم يقاتلهم ولذلك ينقلون الأنوار الإلهية في أئمتهم بواسطة التناسخ وهم قريبون في اعتقادهم هاذ من البيانية الذين يحلون الروح الإلهية في الأنبياء.

٧-البكرية ٨- الضرارية ٩- الكرامية

وثلاثتها من فرق الشيعة يعدها البعض كفرق مستقلة وأنك لتعثر في بعض التقاسيم على أفرع توضع تحت فرق مخالفة في بعض التقاسيم الأخرى مثلا الخطابية أحد أفرع الشيعة ويضعها بعضهم تحت الصفاتية تقول بوجوب وجود رسولين لكل أمة أحدهما ناطق والآخر صامت فكان محمد الناطق وعلي الصامت وهم باطنية في تفسيرهم للقرآن فيقولون أن "بقرة" دلالة على عائشة، والخمر والميسر كناية على أبي بكر وعمر، وفريق العمريين منهم يقولون الدنيا ليست فانية ومعنى الجنة التنعيم في الدنيا. أما جهنم فالحرمان من نعيم يستحلون المحرمات كالزنا والخمر ويقولون بالتناسخ ويقول فريق أخر منهم أن الوحي ينزل على كل مؤمن وقد ترك لهم جعفر الصادق كتاب الجعفر الحاوي لعلم الغيب وتفسير القرآن ويقولون بأن أي إنسان خير من جبريل وميكائيل ومحمد.

وتوجد أفرع يختلف وصفها تحت الفرقة التابعة لها كالنعمانية مثلا إذ يصفها البعض تحت الشيعة. والبعض تحت المعتزلة والمجسمة التي تنحت تماثيلاً لله. فبعضهم يجعلها صفاتية والبعض متشيعة والهشامية (الحكمية) القائلة إن العصمة لا تجوز في الأئمة بل فقط في الأنبياء وأن

محمد قد عصى ربه بقبوله الفدية من أسرى بدر فبعضهم يصفها تحت المشبهة والبعض تحت الشيعة والرزازية القائلة بأن الله لم يكن عالما وقادرًا بل أحزرهما بالكسب فهما أيضًا في نظر البعض مشبهة فينظر الآخرين متشيعين.

والشيعة أكثر الفرق أفرعا فهي تتفرع إلى ٢٢ فرقة كل منها تتفرع بدورها إلى عدة أخرى فمثلا فرع الإمامية مقسم إلى ١٦ فرع لكل منها أفرع أخرى ولكي تكون لديك فكرة مصغرة عن توزيع الشيعة ما عليك إلا الاطلاع على الجدول الآتي وفيه جزء توزيع الإمامية.

وإليك مثله من مواضيع المباحثة بين الفرق

(١) يستحيل أن يكون الله عالما بالأشياء قبل تكونها ويستحيل أن يمنع تكون الشيء قبل أن يكون.

(٢) الله قادر على تعذيب الطفل فإذا فعل ذلك فهو ظالم.

(٣) الله عالم بعلمه وعلمه هو ذاته وقادر بقدرته وقدرته هي ذاته.

والشيعة هم أكثر الفرق تشعبا وأكثر أقسامها تناثرًا فرقة الإمامية وللإمامة تاريخ فالبعض يقول إنها تثبت بالاتفاق والاختيار (بدأ بها أتباع معاوية) ويتم ذلك باتفاق الأمة أو جماعة معتبرة من الأمة أما بالطلاق أو بشروط مخصوصة تختلف باختلاف الداعين إليها. فمنهم من يشترط القرشية ومنهم من يشترط الهاشمية. والإمام عند أهل السنة يجب أن يكون مسلمًا حرًا عاقلا بالغا ذكرا سليما في حواسه وأعضاءه كفؤا عالما شجاعا عادلا وأن

يثبت الخليفة إما بالمبايعة أو بالاستخلاف (كما فعل أبو بكر) أو بالتوريث (كما فعل معاوية لابنه) أو بالقهر (أي بالقوة)

وليس المقصود من الإجماع اتفاق الأمة أو أغلبيتها كما هو مفهوم اللفظة الآن في النظم الدستورية الحديثة بل يقصدون بها تارة إجماع الصحابة في صدر الإسلام أو في عصور مخصوصة وتارة يقولون أن الإجماع فرض كفاية يطالب به أهل الحل والعقد والمقصود بهم هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس ويحصرون معنى الجماعة (أو الإجماع) في خمسة أشخاص كما بويع عثمان أو في شخص واحد كما فعل عمر بمبايعته لأبي بكر.

ولأنه ليس في الإمكان التكلم عن هذا الموضوع بتبسط أكثر سأكتب على حده عن الدروز والإسماعيلية والبابية والنصيرية وهي أشهر بقايا تلك الفروق في الوقت الحاضر. ويكفر السنيون بعض مخالفيهم في الأصول وليس الكل.

القرآن

كتاب الله الكريم أنزله على نبيه العربي بواسطة جبريل حامل الوحي آيات بينات في مناسبات فحفظ الصحابة التنزيل وكتب على الرقوق والعظام. وأمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمعه فتم ذلك فيعهد عمر. ولما اختلفت القراءات أمثر عثمان زيد بكتابته وضبطه ففعل ثم جمعت النسخ المتداولة وأحرقت وأرسلت ثلاث نسخ مضبوطة للنقل عنها إلى دمشق وإلى البصرة وإلى الكوفة يحوي **٦٢٢٥** آية موزعة على **١١٤** سورة أرشد النبي الصحابة على طريقة تنسيقها ويقسم إلى أحزاب وأرباع

وإلى أجزاء وسجدات. وقد أنزل جزء منه في مكة فسميت سورة بالمكية وأنزل البعض الأخر في المدينة فسميت مدنية والمواضيع التي يحويها :

(١) الإشادة بذكر الله.

(٢) دعوة النبي للناس لدخول دين الله أفواجا

(٣) الحث على المعروف والنهي عن المنكر.

(٤) أخبار الأمم الغابرة.

(٥) قواعد الإيمان

(٦) قانون الهي

ولأن القراء قد حفظوا القرآن كله أو بعضًا منه. وبعضهم قرأه. فهم لا يحتاجون لزيادة البحث وإنما ما يجدر ذكره هو أن دخول البدع في الإسلام قد أوجدت فيه ما يقال له المعنى الظاهر والمعنى الباطن ويقصد من الأول المعنى المفهوم بالبداهة وهذا مالا يقول به أحد حتى أشد الناس تمسكًا بالنص. فهم يقولون بوجود أسرار للقرآن لا يمكن العثور عليها إلا لمن نال من العلم (أي علم؟ حظًا كبيرًا وكأنما القرآن قد نزل على طائفة مخصوصة أو كل إليها القيام بأوامر الله ونواهيه دون بقية الناس وأما أهل الباطل ففي الأصل يرمون إلى القول بأن الأسرار عويصة لدرجة يتعذر على غير العقلاء الوصول إليها فمثلا "إنما الخمر والميسر" تعني أبو بكر وعمر و "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" "فاسألوا

أهل الذكر" تعني إرسال نبي جديد الخ.

الحديث

حفظ الصحابة أقوال وأفعال النبي ولكن افتعل جماعة أحاديث مزورة. وقد بلغ ببعضهم الجرأة أن دسوا ما يقرب من مائة ألف حديث من الأحاديث المحفوظة وأخيرًا فكر البعض في تنقية الأحاديث وجمعها في جلبه وأسندوها إلى أصدق الرواة وأحسن ما يمكن الاعتماد عليه الآن ما جمعه البخاري ومسلم. ولكن ليس هناك ما يبرر تمسك البعض بأن ما انتفاه المذكوران لا يصح منافسته لأنهما لم يكونا أكثر من إنسانين معرضين للخطاء كبقية الناس. فمثلا سؤر المؤمن شفاء وإذا ضربك خليفة الله على الأرض وأخذ مالك فاطمة وأنت عاص بجزل نخله ومن لم يبايع أمام زمانه مات ميتة جاهلية وخذ وأنصف دينكم عن هذه الحميراء (عائشة) الخ فكلها معرضة لإعادة البحث عنها فإذن لا أساس لتهم الكفر التي يكيلها أهل النقل للذين يحاولون تحليل ما يشك في نسبته إلى الرسول منها

(الدروز)

جماعة تسكن الجزء الجنوبي من لبنان الغربي وفي بقعة من حوران تسمى جبل الدروز يرجعون بأصلهم إلى أل تنوخ الذين هاجروا من اليمن وقت سيل العرم ونزلوا سوريا الغربية. ولما انقسم المسلمون إلى فرق كانوا من الباطنية.

تولى الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ٩٩٦م وهو في السنة الحادية عشر من عمره فأشغل وقتًا طويلاً من مدة حكمه في درس الفلسفة (سفسطة الفرق في ذلك الوقت) والتنجيم وكانت تظهر عليه بوادر غريبة في مبدأ الأمر فيفرط إذا عاقب ويبذل إذا أجاز بمنع أكل صنف يومًا ويحرم غيره في الأخر. كان شديد الغيرة على النساء يتخفى بضبط حوادث التهتيك ويعاقب عليها بالقتل هذا رأي وأما الرأي الآخر فيتهمه بالتهتك والابتذال وهكذا يحار المطلع على التواريخ التي يكتبها المتكملمون بالعربية في أي الوجهات يصدق.

كثرت المشاحنات الدينية في عده فاجتذب العلماء وأسس بهم مدرسة جديدة شادت بذكره ولقبته الحاكم بأمره وأخذ الأئمة يخطبون له

مبتدئين بدلا من البسملة بقولهم "باسم الله الحاكم المحي المميت" وكانت اليد المحركة للدعوة أحد القرامطة واسمه محمد بن إسماعيل الطهراني ولقبه لافشكين الدرزي (درزي أصل لفظه ترزي المستعملة في الوقت الحاضر بمصر وهي فارسية) فلقت مولاه "سيد الهادين وسيف الإيمان" صنف له كتاباً قال فيه إن روح أدم انتقلت إلى على ومنه إلى الفاطميين أسلاف الحاكم بأمره فحدثت شوشرة بين العامة اضطر معها الحاكم أن يرسل الدرزي هذا إلى وادي الثيم للتبشير بالوصية.

فلبى دعوته التنوخيون وإليه ينتسبون وكان في مصر وزير للحاكم اسمه حمزة بن علي بن أحمد الطهراني يقال إنه سعى لإبعاد الدرزي وحل محله وكان أيضًا من الباطنية ثم أخذ في تسوئ سمعة سلفه الذي بمجرد نزوله بين التنوخيين اشتد الخلاف بينه وبينهم فقاموا عليه وقتلوه وكان ذلك عام ١٠١٩ أو ١٠٢١ ميلادية ويكره الدروز الآن الانتساب إليه ويسمون أنفسهم الأعراف أو الموحدين واتسع المجال لحمزة ليفعل ما يشاء فادعى الإمامة فيظل الحاكم بأمره ولقب بهادئ المستجيبين"

وخرج الحاكم الخلوة مرة كعادته إلى جبل المقطم بناحية حلوان ولم يعد، وبعد مدة عثروا على ثيابه ملوثه بالدم فزعموا أنه خرج إلى البركة الزرقاء ومنها عرج إلى السماء مختفيًا عن الناس "هكذا كتب حمزة في السجل المعاق" وذلك ليمتحن إيمان المؤمنين"

ويؤرخ الأعراف بسنة كذا من سني عبد مولاه جل ذكره حمزة بن علي الهادي، ويقال بل يؤرخون من سنة وفاة بهاء الدين أبو حسين بن

علي السموكي الآتي ذكره.

يفسرون غرائب أفعال الحاكم بكونها رموز وأركان الدرزية خمسة أشخاص:

العقل الكلي – حمزة ويلقبونه نقطة البكيار أو الإمام

النفس الكلي – إسماعيل بن محمد التميمي

الكلمة – محمد بن وهب

الجناح الأيمن: سلامة بن عبد الوهاب السموري ويلقب بالسابق

الجناح الأيسر: بهاء الدين أبو حسين بن علي اسموكي ويلقب باللاحق.

وكان يساعد هؤلاء جماعة الدعاة والمأذونون والنقباء والمكاسرين وهو نفس النظام الاكليريكي عند الباطنيين.

عبادتهم: يعتقدون بوحدانية الله وأنه فرد صمد نزه عن الأزواج والعدد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا بدء له ولا نهاية عادل لا غرض لفعله قادر لا مرد لحكمه أن أثاب فبفضله وإن عاقب فبعدله يؤمنون بالملائكة والأنبياء والرسل وبالقضاء خيره وشره وبالقدر وكذلك يعتقدون بخلود النفس التي تتقمص في الأجساد البشرية إلى يوم الشحر حين تجزى كل نفس بما كسبت. قال الله للعالم كن فكان والأعمار مقدرة.

رفع حمزة عن قومه أركان الإسلام الخمسة وعوضهم عنها بسبعة أركان:

(١) التوحيد للمولى الحاكم.

(٢) الرضى بفعله كيفما كان.

(٣) والتسليم بأمره في السر والإعلان (بدل الشهادتين)

(٤) سدق (صدق) اللسان (بدلا من الصوم)

(٥) حفظ الأخوان (بدلا من الصلاة)

(٦) ترك ما كان يعبد من العدم والبهتان.

(٧) البراءة من الأبالسة والطغيان.

تكونت النفوس البشرية دفعة واحدة في بدء الخلق من نور حمزة وعددها محدود لا تزيد ولا تنقص فإذا مات شخص ولد غيره وقت دفنه فتحل فيه روح الفاني لأن الجسد ليس إلا قميص والنفوس خالدة تنتقل من قميص لأخر حتى يوم الحشر. يعتقدون في القرآن، ولكن تفسيرهم له يخالف تفسير السنين فمعنى القرآن الظاهر يبدو للجهلة وأما المعنى الباطن فلا يعرف حقيقة تأويله إلا الأحاويد الراسخون في العلم. الزمن سبعون دورة لكل دور سبعة ناطقين وسبعة أوصياء وسبعة أئمة.

يدعون أنها فرقة إسلامية ولكن المطلع على كتبهم التي يتداولونها

سرا يرى عكس ما يدعون فمثلا "ميثاق ولي الزمن" الذي وضعه حمزة يبدأ هكذا.

توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد أقر (فلان بن فلان) أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات على أصنافها واختلافها وأنه لا يعرف شيئا غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة....

والحاكم بأمره إله واحد إتباعه له موحدون اختفى وعندما يظهر أخر الزن سيعين إتباعه أمراء وسلاطين يحكمون بقية البشر وسيعذب غير أهل ملته عذابا أليما، وبالرغم عن هذا التهديد فإن باب الإيمان قد أقفل بأمر حمزة فهنيئًا للذي ولجه الوصية مباحة بشرط أن لا يتعدى الوصي ما جمعه بنفسه وأما ما ورثه فيجب توزيعه على الذكور من أبنائه بالتساوي ويحرمون الإناث وتعدد الزوجات ممنوع والطالب لا ترد يدفنون أمواتهم بدون احتفال ولا يشيدون لهم أضرحة مرجعهم مشايخ العقل وقضاة المذهب وهم طبقتان اكليريكية وملكية يسمون الأول عقال والآخرين جهال. وعقالهم ثلاث درجات المنزهة وهم أكثرهم نفي وورعا والشراح هم أقل درجة ثم الأجاويد أو الخلوتية ويكونون الطبعة الأكليريكية الدنيا والشراح هم أصحاب الأسرار الداخلية وأما الأجاويد فهم أصحاب الأسرار الخارجة. أما الجهال فبيدهم قبضة السيف والزعامة الوطنية وهم أربع طبقات أعلاها الأمراء فالمشايخ فالأعيان فالعامة. والطبقتان الأولتان تتوارثان الألقاب أبا عن جد.

ولأجل أن يترك الدرزي –ولو كان أميرًا– الجهالة ويكون عاقلاً يتحتم عليه أن يرشح نفسه بالإنصاف بالعفة وأن يمسك عن التلفظ بفحش اللفظ وأن يلبس غير متأنق ولا يشرب الخمر ولا يدخن ويجد على لبس عباءة بشكل مخصوص ويرسل لحيته فإذا ما رأوا فيه الصلاح سمحوا له بالحضور في خلواتهم ليالي الجمع وفي هذه الخلوات البعيدة عن العمران يجتمع العقال تحت حراسة شديدة حتى لا يسترق معلوماتهم أحد الطفيليين فإذا ما انقضى شطر من الليل انسحب الأجاويد وبقى الآخرون وبعد مدة أخرى ينسحب الشراح ويظل المنزهة يتذاكرون حتى مطلع الفجر. أما الجهال فيسمح لهم بالحضور في ليلتي أول يوم من عيدي الفطر والنحر يقال إن لهم كتاب يختص بقراءته أكثرهم تعمقا في النزاهة وهو رئيسهم الديني الأكبر وقد جر عليهم تشددهم في "أسرار الدين" اتهام جيرانهم لهم بتهم لا أثر لها من الصحة كعبادة العجل.

يبلغ عددهم زهاء ٢٠٠٠٠ نسمة وهم أهل شهامة ومروءة تفوق حد الوصف يمكن الاعتماد على كلمتهم والارتكان على صداقتهم ثارت بينهم وبين جيرانهم مذابحا فظيعة لم يسمع إنسان أنهم انتهكوا فيها حرمة امرأة –ويعزو بعض الظرفاء تعففهم هذا إلى أن يضنون ببذر الطهاة في الأرض النسجة وفي هذا شيء من الحصة– ولم يخلفوا وعدا ولا ميثاقا

يتزاوجون داخل الطبقات التي ينتمون إليها فإذا تزوج جاهل من

عاقلة أخرجها من عقلها والعكس بالعكس وإذا تزوج أمير بشيخة نزل إلى مستواها. ولأن التزاوج بينهم محدود في دائرة ضيقة أصبحوا عصبيين سريعي الانفعال وظهرت عليهم علائم الانحطاط الفسيولوجي إذا قورنوا بمن هم في بيئة كبيئتهم جبلية صحية فطرية.

ولبعض الغربيين نظرية عن أصلهم إذ يدعون أن لفظة دروز مشتقة من كلمة Dveus الفرنسية والتي كانت تدل على دوقات الفرنسيين من الصليبيين.

ويدعي الآخرون أن محفلي "الدرزي الموجد" و "متولي لبنان" الماسونيين في فرنسا يرجع تاريخهما إلى العهد الذي أرسل فيه حمزة دعاته إلى نواحي الشرق وشواطئ البحر لمتوسط لنشر الدعوة ومما يبرهنون به على ادعائهم هذا أن شجرة اللبخ رمز المعهدين المذكورين هي نفس رموز الدروز الديني حيث تجدها في كل منزل لأنه عند إتمام عقد الزواج يزرعون شجرتين من اللبخ جنبا إلى جنب تبركا.

وفي مصر بعض عائلات منهم أذكر منها عائلة تلحوق وعز الدين وتقي الدين.

النصيرية

انقسم رأي علماء الأديان عند الرجوع إلى أصل هذه الطائفة فادعى البعض أنها مسيحية تسربت إليها التعاليم الإسلامية والمجوسية بمرور الزمن ولذلك يرجعون بتاريخها إلى مائتي سنة قبل الإسلام ويعتقدون أن اسمها محرف من تصغر كلمة نصراني أو كلمة ناصري وادعى البعض الآخر أنها بدأت مع خلافة عمر ولكن الأرجح هو قول الذين ينسبونها إلى محمد بن نصير تابع حسن العسكري حفيد موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فهؤلاء يقولون أنها إسلامية ليست أكثر من فرع من الإمامية إحدى أفرع الشيعة وأن ما دخلها من اعتقادات املجوس يزيد عما اقتبسته من التعاليم المسيحية ويثبتون دعواهم بأن أغلب اعتقاداتهم بل وهيكلها إسلامي.

يقول النصيريون بتجلي الآلة الأخيرة في علي بن أبي طالب كما تجلى من قبل في شمعون (بطرس الرسول) وهارون وإسماعيل وشيث وهابيل واتخذ له فيكل دور من هذه الأدوار رسولا ناطقا. أولهم آدم فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى فمحمد. ولكل من هؤلاء الرسل ستة أئمة يسمون أولهم "الأساس" وفيه يتجلى الإله وأئمة محمد هم علي "الأساس" الحسن والحسين وعلي ابنه ومحمد بن علي وجعفر بن محمد فموسى بن جعفر وموسى هذا هو أخ لإسماعيل الذي يسند إليه الإسماعيليون الإمامة بعد أبيه جعفر ومن هنا بدأ الخلاف بين الطائفتين.

ويقطن النصيريون في جبالهم القريبة من مدينة طرابلس الشام وعددهم ١٥٠٠٠٠ نفس تقريبا والعداوة مستحكمة بينهم وبين أبناء عمومتهم الإسماعيليين القاطنين بجوارهم.

وللنصيريين ثالوث مكون من :

المعني (الأب) الغيب المطلق "الله – علي" يرمز له بحرف ع

الاسم (الابن) صورة المعنى الظاهر "محمد" يرمز له بحرف م

الباب (روح القدس) طريق الوصول إلى المعنى "سليمان الفارسي" يرمز له بحرف س

الههم معبود مقدس فرد لا شريك له يحل في الأجسام ولما حل في علي لأخر مرة علم محمد؟ كل شيء إلا "المعنى" الذي احتفظ به لنفسه وهو دائم لا يزول حاضر فيكل زمان ومكان مطلق التصرف ومنه تستمد الكواكب أنوارها وعلى هو إمام في الظاهر وإله في الباطن لا يأكل ولا يشرب ولم يولد.

وكنتيجة لاجتهادهم في تفسير كتبهم المقدسة انقسموا إلى مذاهب إليك بعضها:

١- **عبدة الشمس:** ففيها يقم علي وأما عينها فمحمد ولذلك يسجدون لها صباحا وقت الشروق ومساء عند الغروب.

٢- **عبدة الحيوانات:** حيث تحل أرواح السلف.

٣- **عبدة القمر:** ففي الجزء المطموس منه يقيم عللي وإما محمد فهو الشمس وسليمان الفارسي ليس إلا السماء وأرواح المؤمنين وهي الكواكب.

٤- **عبدة الهواء:** أليس الله كائن في كل مكان ولا يوجد شيء يحل في مكان إلا الهواء فالهواء هو الله.

٥- ومنهم طائفة توجه صلاة الفجر لمحسن (؟) والظهر لمحمد والعصر لفاطر (فاطمة) والمغرب للحسن والعشاء للحسين ولدى هؤلاء تجد الإله كما تجده عند من سبق قد تجسد في علي وكتابهم المقدس هو "كتاب المجموع" مكون من ١٦ سورة هذه أصغرها.

سورة العقد (ورقمها ١٠)

أشهد أن الله حق وقوله حق وأن الحق المبين على بن أبي طالب الأنزع البطين والنار مثوى للكافرين والجنة روضة للمؤمنين والماء من تحت العرش يطوف، وفوق العرش رب العالمين وحملة العرش الثمانية الكرام الذين هم إيه مقربون عدتي في شدتي وعدة المؤمنين سر عقد ع م ش

وهذه الدرر الغوالي التي يقصر عن الإتيان بمثلها أي كان أنزلت من علي ورتبها محمد ثم أهداها إلى نقبائهم أما سفر التكوين عندهم ففيه أنهم كانوا كواكبًا فألقت بهم الخطيئة إلى الأرض وفيها ستنتقل أرواحهم سبع مرات من جسد لآخر حتى تصقل فتعود إلى مكانها في السماء وأما من ارتكب منهم المعاصي فتحل أرواحهم بعد الموت في أجساد مسلمين

ويهود ومسيحيين حتى تكفر عما ارتكبته ثم تأخذ في التنقل من جسد إلى أخر حتى يصح لها الرجوع إلى السماء.

وخلقت الشياطين من معاصي الناس والمرأة خلقت من معاصي الشياطين وهي في نظرهم أحط مرتبة من العجموات لا تعاقب ولا تثاب، وأما أبو بكر وعمر وعثمان فليسوا الأصور نفخت فيها روح إبليس اللعين.

وخلق علي محمدًا الذي خلق سليمان الفارسي الذي خلق الأيتام الخمسة كما خلق منهم المقداد بن الأسود رب الناس لأنه هو خالقهم.

ليس من السهل الوقوف على معتقدات النصيرية فإن معرفتها حكر لنقبائهم وأما النجباء فلا يعرفون إلا شيئا يسرا في حين أن أغلبية النصيريين الساحقة لا تعرف شيئا من أسرار دينها لأن الله لم يهبهم ذكاء كافيا لاستيعاب إرادته ويسمون هؤلاء "العامة" وإنا لنجد في هذه الأمة مثالا ناطقًا لمحاولة مرتزقة رجال الدين احتكار الفهم جريا وراء إشباع نهمهم بتنطعهم في الدين.

ولهم أعياد خليط بين الإسلامية والمسيحية والمجوسية فعيد محمد (الفطر) وعيد إسماعيل (الأضحى) وعيد عيسى (الميلاد) والنيروز الخ ويتهمهم البعض بارتكاب الفحشاء في خلواتهم قياما بفروض الدين ولكن هذا مدسوس عليهم.

البهائية (البابية)

وجد ببلاد فارس في الربع الثاني من القرن التاسع عشر، شيخ هو أحمد زين الدين الإحسائي، كان يمزج التعاليم الإسلامية بالتصوف وبنتف من الآراء الفلسفية. وكان جو البلاد مشبعا بروح التمرد ضد نظام الحكم المتبع وكانت عقلية الوسط تسيغ هضم فكرة رجوع المهدي. فكثر عدد المدعين بالمهدوية وكان أحدهم شابا في الرابعة والعشرين من عمره اسمه ميرزا علي محمد بدأ بنشر دعوته إلى المهدوية عام ١٨٤٤ وكان من تلاميذة الشيخ الإحسائي وقد كان هذا المعلم يدعو إلى أن المهدي كان قائما في عالم روحاني اسمه "جالقا" فادعى السيد علي المذكور أنه باب المهدي، فتبعه جماعة من أتباع الإمامية الباطنية وقال أنه باب الدين ثم لقب نفسه بالنقطة وخالق الخلف، ثم قال أنه ليس بنبي ولا برسول ولكنه هيكل إلهي ومنح أحد مريديه لقب الباب. ثم عاد فادعى أنه المهدي المنتظر، وأخذ يدعي أنه الحسن تارة والحسين أخرى وهكذا تسمى بأسماء كل الأئمة المنتظرة، فلما روجع في ذلك استشهد بقول الطائفة "الشيخية" من أن (الشخصية الإنسانية التي تميز الأفراد عن بعضهم ليست أكثر من مجموعة صفات وأخلاق إن وجدت تامة في شخصية أخرى في أي زمان ومكان دلت على رجوع الشخص السابق وجودها فيه إلى الوجود) فبالطبع كان هذا برهان لا يرد من عقلية ذلك الزمن. وأسمى نفسه "الذكر" قائلا أنه المقصود من "إنا نحن نزلنا الذكر

وإنا له لحافظون" و "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" وشمر عن ساعديه وأوحى ليده بكتابة كتاب "البيان" وادعى أنه هو المقصود من الآية "خلق الإنسان علمه البيان" وأخذ يدعو الناس لدين الله، ومن رفض كان يعدمه. فلم يسع الحكومة إلا محاكمته والحكم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، فتم ذلك ورميت جثته في خندق لإحدى القلاع. ولكن أتباعه ينفون قتله ويؤكدون رؤيتهم إياه وهو صاعد إلى المساء. ذلك بالرغم من أن لهم مدفنا باسمه في طهران، ولما صلحت الحال نقلوا بقاياه إلى عكا وله هناك مزار.

وكان ضمن أتباعه أخوان لأب، اسم كبيرهما يحيى ولقبه صبح الأزل. وأما الصغير فكان اسمه حسين ولقبه بهاء الله. فحرضا الأتباع على قتل الشاه، وأحدثا بوادر ثورة، فألقت الحكومة عليهما القبض وأودعتهما السجن رهن المحاكمة فتدخل لصالحهما قنصل الروس فنفيا واستقرا في بغداد وهنالك اتفقا على أن يختفي صبح الأزل ليقول البهاء أن اللاهوت قد حل فيه ثم عرج إلى السماء. وفعلا ادعى البهاء هذه الدعوى وحاول إثارة فتنة في العجم لصالح الروس فتداركت الحكومة العثمانية الأمر وألقت القبض على الأخوين ونفتهما بعيدا مع بعض المريدين في مدينة أدرنة وهناك لم يجدا أمامهما محالا للعمل فالتفتا إلى بعضهما وأخذا يتعاركان. وكان سلاح البهاء أمضى، إذ أنكر أخاه قائلا أنه صعد إلى السماء وليس الموجود الأمدع. وشمر كل منهما عن ساعديه ورزأ العالم بكتاب منزل ففرقت بينهما الحكومة العثمانية وأرسلت صبح الأزل إلى قبرص "أورودس" وأرسلت البهاء إلى عكا وتعبه

٨٤ شخصًا وكان ذلك عام ١٨٦٨.

أما كتاب الهباء فاسمه (الأقدس) وهو رطانة بين عربية وأعجمية حاول فيه النحو منحي القرآن.

ولم يلبث البهاء بعد ركود دعوة أخيه أن رجع عن اهتمامه باحتكار اسم البابية لجماعته دون جماعة أخيه، فاسماهم البهائية، ثم ازداد جرأة فادعى أن مرزا علي محمد لم يكن إلا مبشرًا بحضوره، كما أن يوحنا المعمدان كان مبشرا بظهور المسيح، واكتفى بمراسلة الملوك إلى أن مات عام ١٨٩٤ وهو في الخامسة والسبعين من عمره وخلفه ابنه الشيخ عباس (أو عباس أفندي) بوصية علي قول، وبالمراوغة على قول آخر. والقائلون بالرأي الثاني يدعون أن البهاء جن في أواخر أيامه، وكان ابنه يعمل كحاجب له، فاستأثر بالأمر وأغدق على الجماعة أموالا فحبب فيه الأتباع وبالفعل أسموه (المعلم) هذا في حين كان شقيق عباس يرتع في عالم آخر.

فلما مات البهاء وحل عباس محله بلقب عبد البهاء غضب أخوه وسعى ضده لدى الحكومة فضيقت عليه حتى أعلن الدستور عام ١٩٠٨ فأطلق سراحه وتمكن من قضاء ثلاث سنوات سائحًا في مصر وأوروبا وأمريكا. ولما نشبت الحرب كان في فلسطين وخدم قضية الحلفاء فأنعمت عليه الحكومة الإنكليزية برتبة فارس الإمبراطورية البريطانية مع لقب سير، وتوفى في السبعة والسبعين وكان ذلك عام ١٩٢١ فخلفه بوصية منه حفيده لابنته شوقي أفندي رباني وهو لا يكاد

يتجاوز العقد الثالث من عمره في الوقت الحاضر، وينازعه شقيق جده على الزعامة.

أريد الآن أن أدلي إليك بشيء من تعاليم البهائية ولكني أجهل كيف أفعل ذلك. فقد سبق أن قلت لك أنه التف حول ميرزا علي محمد بعض أتباع الإمامية الباطنية، وبالطبع كانت له فوارق تجعله وجماعته حزبا واحدا يخالف الأحزاب الأخرى، مثل الاكتفاء بصلاة ركعتين فقط في كل صباح مع اقتبال جهة مخصوصة، حيث يوجد جامع في مدينة شيراز.وكالتسليم بحلول الآلة في جسد الإنسان، وأن الثواب والعقاب يتم بالتلذذ أو التألم من تذكر ما اقترفه الإنسان من الخير والشر، وأن الروح تعود للعالم الإنساني مرة أخرى بعد الموت فقط، والشهر ١٩ يوما والسنة ١٩ شهرًا ذلك لأن وحدة الله مكونة من ١٩ اقنوما (ويقال أن الرقم ١٩ هذا مقدس لأنه مكون من الباب ومن تلاميذه الثمانية عشر ولذلك أسموهم الأحرف الحية تجتمع كلها في واحد فلواو تساوي ستة والآلف واحد والحاء ثمانية والدال أربعة) يحرضون على هدم مكة وبيت المقدس وبقية الأماكن المقدسة ويحصرون تعدد الزوجات في اثنتين (سمعت أنهم يقتصرون الآن على واحدة) ويجيزون الزواج بالأخت (ينكر البابيون ذلك).

هذه وأمثالها تعاليم البهائية منذ نشأت إلى أن تفتحت عينا عبد البهاء في رحلته إلى الغرب، فحمس أتباعه على تعليم أولادهم: وجعل التعليم من أصول مذهبه وكأنما أغوته فكرة "الدولية" فألقى نفسه بين

أحضانها دون قيد ولا شرط فصرف نظره عن اللاهوت وأخذ يقول مع القائين بتوحيد الأديان وبالطبع اختار البهائية لتكون الدين الأوحد، وله في ذلك منطق غريب إذ يقول "كل الأديان أساسها سماوي حتى المجوسية. وبما أن المسلمين يعترفون بالمسيح وبموسى والنصارى يعترفون بموسى، فالاتفاق بينهم سهل وليس من الصعب البهائية تحترم كافة الأديان" هذا ما قاله ولكني لم أفهم المقصود منه، وقد سطرته لك لتحاول أن تفهمه بنفسك. يقول مع القائلين بوجوب عمل برلمان واحد للعالم يجتمع فيه نواب لجميع أمم الأرض، ويطالب مع المطالبين بوجوب توحيد اللغات. ولكنه أشك في أنه يقترح اللغة الفارسية ويستعير نظام الولايات المتحدة الحكومي لدى طلب إنشاء بيت عدل لكل قرية ولكل مدينة ولكل قسم ولكل مملكة، يطلب تكوين برلمانين أصغر وأكبر يعمل كل منهما لمدة خمس سنوات وتكون الأصوات متساوية. ويطلب إنشاء بيت مال تجتمع إيراداته من ١٩ في المابة من الثروة و ١٩ في المابة من الدخل. والزكاة مال من ليس له وارث بالمرة. نصف اللقطة التي ليس لها مالك وثلث الكنوز وثلث ارث من ليس له وارث ذكر وغرامات الجرائم والجنايات والهبات والأوقاف.

ويصرف من بيت المال هذا في إشادة معاهد العلم المتاحف والمستشفيات الخ.

هل فهمت مبادئ البهائية؟ أليست هي آراء رجل فهم الأنظمة الاجتماعية فهما سقيما، وفي ليلة صافية الأديم خمن فكتب له "بوتوبيا"

تجلت بصورة مضحكة. وإليك نموذج من كتابات عبد البهاء.

"إلهي إلهي قد أحاطت الليلة الدلماء كل الأرجاء وغطت سحاب الاحتجاب كل الآفاق واستغرق الأنام في ظل الأوهام وخاض الظلام في غمار الجور والعدوان ما أرى الأوميض النار الحامية المتسعرة من الهاوية وما أسمع إلا صوت الرعود المدمدمة من الآلات الملتهبة الطاغية النارية وكل إقليم ينادي بلسان الخافية." أفهمت ما يريد أن يقول في هذه الجملة؟

فالبهائية كما فهمت أنا من أتباعها تزعم أنها تعاليم سماوية تدعو العالم إلى الاتحاد والسلام وإلى نبذ التعصب الديني والجنسي والوطني والسياسي وتعميم العرفان وإنشاء محكمة عامة كبرى تفصل الخلافات وتشييد القواعد الاقتصادية وتأسيس لغة عامة. هذا ما تستنتجه من كتاباتها الإنكليزية التي تواجه بها الأمريكان. ولكنها تتكلم عن الفروع والأصول وتجادل علي مذاهب المعتزلة والباطنية والقدرية في البلاد الإسلامية.

هل القارئ يعذرني الآن إذا قلت له أني أجهل ماذا يجب أن أقول في التعاليم البهائية؟ وحتى النظريات المستجدة في البهائية فإنها مرنة وليست جامدة. وهذه كل محتويات رسالة عنوانها "تعاليم البهائية" طبعت أربع مرات لترى بعينيك كيف تتابع البهائية سنة التطور.

محتويات البطاقة المطبوعة سنة ١٩١٣

١- تطابق أسس الدين ..

٢- وحدة الناس

٣- مباحث حرة عن الحقيقة

٤- السلام العام

٥- لغة دولية

٦- مساواة الرجل والمرأة

٧- حل المعضلات الاقتصادية بالروحانيات

٨- محكمة دولية

٩- تعليم دولي

١٠- اتفاق العلم والدين

ثم محتويات بطاقة سنة ١٩١٩

١- أسس كل الأديان واحدة.

٢- وحدة العالم الإنساني.

٣- منع التحزبات بأنواعها.

٤- البحث الحر عن الحقيقة.

٥- السلام العام

٦- لغة عامة

٧- يجب أن يأخذ كل إنسان نصيبه من العلم.

٨- مساواة المرأة بالرجل.

٩- حل المسألة الاقتصادية (؟)

١٠- يجب أن يكون الدين سببًا في وحدة العالم.

١١- يجب أن يساير الدين العلم والعقل.

١٢- محكمة دولية.

ثم محتويات بطاقة سنة ١٩٢٤

١- وحدة الله ووحدة الدين.

٢- وحدة الإنسان.

٣- وجوب ترك التحزبات بجميع ضروبها.

٤- وجوب البحث عن الحقيقة.

٥- السلام العام.

٦- توحيد لغات العالم.

٧- تعميم التربية.

٨- المساواة بين الجنسين.

٩- العبادة هي العمل.

١٠- منع الفقر المدقع والغنى المفرط.

١١- إزالة الاستعباد الصناعي.

١٢- حاجاتنا إلى شخصيات معنوية.

ثم محتويات بطاقة سنة ١٩٢٦

١- البحث المطلق عن الحقيقة.

٢- وحدة العالم الإنساني.

٣- الدين مولد للحب والوفاق.

٤- أسس كل الأديان واحدة.

٥- يجب أن يساير الدين العلم.

٦- السلام العام.

٧- تعميم التعليم الإجباري.

٨- المساواة بين الجنسين.

٩- العبادة هي العلم.

١٠- منع الفقر المدقع والغنى المفرط.

١١- لغة إضافية تدرس في جميع المدارس.

١٢- وحدة الله وطاعة أمره.

ومن يدري فقد تضع في المستقبل ضمن تعاليمها أشياء أخرى مثل.

وجوب حل الأوقاف الأهلية. طرد الصهيونيين. من فلسطين. إلغاء المحاكم المختلطة. حل مشكلة عمال ترام الإسكندرية. سوق كونتراتات القطن.

ونشر الدعوة للبهائية يتم على نسق التبشير المبروتستانتي مع فارق هو أن البهائي المبشر يحاول أن يلونك بلون البهائية عند أول بادرة تبدر منك. فإذا سألك مثلا هل توافق على تقبيل مقامات الأولياء وقلت لا ينبهك إلى أنك بهائي ولو أفهمته أنك لست بهائيًا، قال لك أنك بهائي،

ولكنك مكابر ومن الفضيلة الرجوع إلى الحق.

وقد سمعت من بعض مبشريهم أن الدكتور "ولسن" لم يقدم فكرة تقرير المصير للدول المتحاربة إلا بعد أن قتلها مجلس البهائيين في الولايات المتحدة بحثا وأنهم مبدوا لاقتبال الفكرة في الأوساط السياسية الأوروبية وسمعت أن سعد زغلول كان بهائيا يعمل بإرشادات لجنتهم الرئيسية في مصر وكذلك فعل مصطفى كمال. ولهم نشرات تشابه بطاقات عيد الميلاد عنوان واحدة منها مثلا "الدعوة البهائية" فإذا تصفحتها كي تفهم ما الذي تدعوا إليه البهائية تقرأ:-

"قال الأستاذ الكبير (اختر أي اسم تشاء) عندما زرت عبد البهاء عام كذا أدخلوني قاعة متسعة ضعيفة النور فرأيت في زاوية منها وجه البهاء السمح يضيء تحت عمامة يضاء نظيفة فتملكني الخشوع وإذا به يحييني ثم يحدثني بحديث لطيف كدت التهمه التهاما وكم أثرت عيناه الساذجتان في نفسي بما لم أشعر بمثله في حياتي قط ...." وهكذا إلى تنتهي من قراءة البطاقة. فتقرأ في بطاقة أخرى تحت عنوان "شيء عن البهائية" أقوالاً مثل:

"أفضى جلالة ملك كذا (أو القائد العام لجيش كذا أو ملكة كذا أو أمير كذا) لمراسل جريدة (ضع أي اسم أجنبي تشاؤه) بحديث نشر في العدد كذا المؤرخ كذا فقال "إن تعاليم البهائية لا شك مستقاة من وحي ألهي وأنا معجب بما حوته من حقائق..." وهكذا إلى آخر البطاقة.

فهل من يقرأ مثل هذه البطاقة يتوجه إلى جلالة ملك كذا أو الفيلد مرشال هند نبرج أو ملكة رانجون ليتحقق ماذا كان قد مرت عليهم ولو

عرضا لفظة البهائية!!!

البهائي مسلم بين المسلمين، مسيحي بين المسيحيين، ملحدين الملحدين. فهمه منحصر في أن يكثر عدد البهائيين بأية طريقة كانت فمثلا يدعي لك أن بمصر ربع مليون بهائي فهيم سبعة وزراء ومائتي قاض وأن في أمريكا خمسة ملايين وأن في إنجلترا مليون ونصف، وإذا لم تصدقه فاذهب وواحص لتتأكد من صدقه.

وبعد بحث طويل يمكنني أن أقول بأن البهائية ليست الأجمعية لطائفة لا تمتزج بالإيرانيين الشيعيين، تتظاهر في الغرب بأنها فرع لترويج "الدولية" في الشرق وتتظاهر في الشرق بأنها تنبع طريقة دينية تجاري معها العلم الحديث.

الإسماعيلية

وهو من الذي لم يقرأ تاريخ دولة الحشاشين في الشرق فوتف على ما اقترفته من فظائع وما جرته من أهوال بل من هو الذي لم يقف على نتف من تاريخ الدولة الفاطمية التي اتخذت القاهرة كرسيا لعاصمتها، بدأ في الإسماعيلية كفرع للإمامية إحدى فرق الشيعة فقالت إن الإمامة انتقلت بعد علي بن أبي طالب إلى ابنه الحسن ثم إلى علي زين العابدين بن الحسين ثم إلى محمد الباقر ثم إلى جعفر الصادق الذي نص على إمامة ابنه إسماعيل ولكن الابن توفى قبله انتقلت بعد جعفر المذكور إلى حفيده محمد المكتوم بن إسماعيل ثم إلى جعفر المصدق بن محمد وأخيرًا إلى محمد الحبيب بن جعفر وفي عهد محمد الحبيب هذا نشطت التعاليم الإسماعيلية بفضل عبد الله بن ميمون القداح المنجم ولمامات عبد الله عن محمد الحبيب بدله حسنين الاهوازي فسار على نهج سلفه وفي ذلك الوقت انضم إلى الإسماعيلية رجال أقوياء مثل حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط وعبد الله الشيعي وغيرهما فنظما الإسماعيلية نظاما حسنا وأرسلا الدعاة في أنحاء البلاد وكان نامهم الكهنوتي مقسم إلى :

المقدمون وهم الرؤساء

الدعاة يبثون الدعوة

الرفاق	يديرون حركة الؤمنين
الفدائيون	المنفذون للأحكام
المؤمنون	المستجدون في الطريقة

وكانوا ينشرون الدعوة ؑلى أصول معلومة

فلولا – يختبرون استعداد الشخص (٢) يستأنسون به (٣) يسببون له الشك (٤) يأخذون عليه المواثيق أن لا يبوح بما يسمع (٥) يهوشون عليه بالمغالاة في ذكر مقدرتهم وقوتهم (٦) يلقنونه اعتقاداتهم (٧) يرفعون عنه بعض الفروض الشرعية (٨) يسلخونه من الإسلام.

وكانوا يدعون أن للقرآن معنيين ظاهر وباطن فمثلا (الجنة) معناها الإعفاء من مظاهر العبادة و (جهنم) المثابرة عليها (الوضوء) تلقى الدين على الإمام و (التيمم) تلقيه على الحجة (الصلاة) أتباع الرسول الناطق (النسل) تجديد العهد (الصوم) صيانة السر (الزنا) إفشاء السر.

أئمتهم سبعة كأيام الأسبوع وكالسموات وكالكواكب ولذلك أسموهم السبعية وبين كل إمامين سبعة رسل ناطقين وبين كل ناطقين سبعة أئمة للعصر يعملون لإتمام شريعة الناطق التابعين له ولكل "إمام العصر" مساعدون يبلغ عددهم به سبعة هم الذين يقتدي بهم وترتيبهم:

١– إمام العصر ويستمد فيضه من الله ليتم شريعة الناطق.

٢– الحجة يستمد فيضه من الإمام ويكون حجة لوجوده

٣– ذو المصة يمتص العلم من الحجة

٤– الداعي الأكبر أعظم المؤمنين مقاما

٥–الداعي المأذون يأخذ العهد ممن يريد الدخول في الإسماعيلية من أهل الظاهر.

٦– المكلب لا يؤذن له بالدعوة ولكنه يرشد الطالب إلى المأذون.

٧– المؤمن الذي دخل في زمرة الجماعة

وكل ناطق ينسخ الشريعة التي آتى بها الناطق السابق له والسبعة الناطقين هم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد بن عبد الله ومحمد المهدي.

الله منزه عن كل وصف ويعجز الإدراك عن الإحاطة بكهنة. خلق العقل الكلي قبل أي شيء آخر وامتزج به وهكذا تجلى في صورة يفهمها الناس. وعندئذ خلق الروح الكلي. ويتكون من الله والعقل الكلي والروح الكلي ثالوث نسبة العقل منه إلى الروح كنسبة الدجاجة للبيضة والمخلوق للنطفة والولد للوالد والعقل الكلي تام في فعله.

أما كيف يكون العالم فإليك الجواب هفت الروح إلى كمال العقل فتحركت صوبه ومن هذه الحركة وجدت الأفلاك التي دارت بتدبير الروح فوجدت المعادن والنباتات والحيوان والإنسان وهذا قد تم تكوينه باتصال الأرواح الجزئية بالأجساد. فالروح الكلية تسببت في وجود المادة لحاجتها

إلى الحركة. وقد صور العالم الأدنى على نظام العالم الأعلى. تجسد العقل الكلي فصار ناطقا وتجسد الروح الكلي فصار أساسا والإمام علي هو أساس النبي محمد وقد باح لمحمد بكل شيء إلا (المعنى) فاحتفظ به لنفسه.

وللشرائع معنى ظاهر ومعنى باطن والعارف هو الذي يطلع على المعنى الباطن ويتخلص من الظاهر. ولا يمكن الوصول إلى المعرفة إلا عن طريق الدعاة والأئمة والناطقين.

ويعزون إلى الإسماعيليين القول "بأن الاختلافات لا تتسبب إلا عن المال والنساء فيجب إباحتهما للناس عامة".

ولما تشتت الدولة الشرقية تشتت معها الإسماعيليون فاحتفظ منهم على مذهبه جماعة في الهند وأخرى في شمال سوريا وقد اختلفت معتقدات الجماعتين عما كانت عليه أولا. ولكنهما تتفقان في تجلي الإلوهية في الأئمة المعاصرين لأنه "ليس من المعقول الاعتقاد باله لا يرى فظهور الإله لازم لأجل تلقين الشرائع" ومنهم أقلية لم تجد حتى الآن من يليق بالإمام ولكن الأغلبية أفلحت في العثور على "محمد علي شاه" أو (أغاخان) الهندي المشهور ففيه تجلت الألوهية ولذلك يعبدونه.

وأتباعه يصلون لصورته مرتين كل يوم مرة في الصباح ومرة بعد العشاء ولكنهم لا يصومون ابدءوهم يحجون لبومباي حيث هبط الإله وإما الزكاة فتدفع حسب نص الآية "واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى" ولذلك يفرزون لاغاخان خمس كل ما يملكونه وخمس التركة وخمس الإيراد وخمس المهر وإذا لم يعقب شخص ولذا تذهب أمواله

لاغاخان فالبنات لا يرثن وبدل ترديد الشهادة يرددون جملة "الله رب واحد روح الوجود الحق المعبود" .

يعيدون عيد الأضحى مع المسلمين والميلاد مع المسيحيين وكذلك يعيدون النيروز وصلاتهم رطانة من الأردوا والعربية وهاك شيء منها يقول الإمام.

لا إله إلا الله الحي القيوم ملك الحق المبين. لا إله إلا الله الملك الحق اليقين. مالك يوم الدين العلي العظيم. لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين صحيح الله حقا حقًا يا شاه حضرت عاد ابيافت وسرى مشي قورب اركي. فيردد المصلحون من بعده.

صدقا صدقا استغفر الله العظيم وبحمده لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. لا فتى إلا علي. لا سيف إلا ذو الفقار. نادى مولانا على مظهر العجائب تجده عونا لنا على النوائب. كل هم سينجلي. ذود قرباط بدي (باء ثقيلة) منك مددي دعو عامه قبول كري. ويقول الإمام

دعانيت خير لاهي خير عاقبت خير همتان خير يا علي خير أول خير آخر خير. خير باطن خير ظاهر خير حقيقة خير كريم يا مولاي على رسمي شرطا لك شهدكي شر شيطان شهدكي كريم يا مولاني .. الخ ما هنالك من الصلوات والأدعية المماثلة لما سبق.

المراجع

الكتب الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن

دائرة معارف الأديان والأخلاق

قاموس الأساطير — أدواردر وسبلس

الأدبيات المقدسة — هرست

الغصن الذهبي — فريزر

سوسنة سليمان — نوفل

الملل والنحل — الشهرستاني

الملل والأمواء والنحل — الظاهري

الفرق بين الفرق — طبعة حتى الآن

تطور فكرة الله

حكمة الهند — وليمز

البوذية — ديفدز

أديان الصين — جيلز

بابل وآشور — بنشز

الوثنية والمسيحية — فيرر

التلمود — مويال

القرآنيين والربانين — مراد فرج

كتب أخلاقية واجتماعية ودينية وتاريخية مختلفة

كتب في النقد العالي

كتب في الفقه والحديث وعلم الكلام والتفسير

نشرات للمبشرين

الفهرس